

الحلقة الأولى



صَوْنُ الْكُنُوزِ

مِنْ خُطْبِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْأَخْرَى

تَأَلِيفُ

السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي كَبَّاشٍ





الحلقة الأولى

صَوْنُ الْكَلِمَاتِ

من خطب يوم الجمعة الأغر

تأليف

الشيخ محمد البراءة كعباني

- حقوق الطبع محفوظة -

المطبعة العربية

تهج طالي أحد غداية

الايداع القانوني رقم 87 05 1994

الحمد لله

إلى رُوح والديّ الكريمين أهدي هذا الكتاب الذي
يحمل بين طيّاته صيحة الإيمان ودعوة الحق والبر، على
منبر بيت الله الذي كانا من غداً وعماره. وكم تمنّياً
على الله أن يكون لهما ولد يعيش لخدمة العلم ونشر
أنواره، فله الشكر والثناء، أن يبلغ المقصود وحقق
الرهاء. «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً تَرْضَاهُ، وأصلح لي في
ذريّتي إني ببت إليك وإني من المسلمين».

مؤلف
سعيد محمد كعبا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الخالق البارئ الرحمان ، خلق الانسان علمه البيان
وبعث إليه رسله مبشرين ومنذرين ، واصطفى لآخر رسالته محمد بن
عبد الله وأنزل عليه القرآن ، وأمره أن يبين للناس ما نزل إليهم ، فبلغ
الرسالة وأدى الأمانة بأصدق قول وأشفى بيان . أشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى
آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان .

وبعد : فإن لكل دعوة منبراً تفصح فيه عن مقاصدها وغاياتها ،
وتعلى منه صيحتها لتجميع الأتباع ، واستكثار المريدين والأشياع .
وقد تكون صادقة القول شريفة المقصد ، مخلصة في ما تدعو إليه
فيكتب لها النجاح ، وقد تبتغي بأحاديثها حظوة عاجلة ، أو غاية
سافلة فيتبعها الغاؤون ؛ ويدور في فلكها المغامرون المتعجرفون .

والأمة الإسلامية منذ أن قدّر المولى تبارك وتعالى أن يجعلها خير
أمة أخرجت للناس ، كانت وليدة المنبر الشريف ، يحدو بها
الرسول ﷺ بأهازيج الوحي ويجزى صفوفها تحت راية القرآن ، حتى
شبت عن الطوق ، فأعدت عدتها لمجابهة الكفر والضلال ، وإعلاء كلمة
الله في الآفاق . فكانت منها تلك الانطلاقة الكبرى في مشارق الأرض
ومغربها ، ترفع بيوت الله وتعلى مآذنها ، وتركز منابرها على تقوى
من الله ورضوان ، فإذا بصوت الحق والنور يجلجل في كل الربوع ،

وإذا بألوية العدل تنشر في كل الأصقاع ، فتشرح الصدور لدين الله ،
وتتألف القلوب بالأخوة في الله . قال أحد الدعاة المخلصين في هذا
المعنى :

«إن أمتنا المسلمة هي ابنة المنبر منذ كانت ، صاغها الله يوم كان
يرتقيه محمد ﷺ . لقد كان منبراً وحيداً ومع ذلك استطاع أن يربّي
جيلاً من البشر حملوا الرسالة إلى الآفاق ، وأقاموا الدين والدولة معاً .
فكان أثر المنبر الواحد أعظم من تأثير مئآت من المنابر ومئات من
الجامعات وآلاف المدارس والمعاهد التي تمتلئ بها حوصلة عملنا
الإسلامي الآن» .

ولله الفضل والمنة إذ أقامني على منبر الدعوة إلى الله في المسجد
الكبير ببلدية العطف في ولاية غرداية . وذلك منذ أوائل السبعينات ،
فلم أدخر وسعاً في إرشاد المؤمنين والنصح لهم بما يسره لي من نفحاته
في رياض كتابه العزيز توضيحاً وتفسيراً ، وفي سنة بنيته توجيهاً
وتتويراً ، وعلى منبر الجمععات صلاة وتذكيراً . وقد نسقت بعض
الخطب الكتابية ، عندما تلحّ علي بعض المناسبات ، تخليداً لذكرى
دينية ووطنية ، أو علاجاً لمشكل طارئ قد يكون له طابع محلي
محض ، وقد يتدرّج في صفوف المشاكل العامة التي تعاني منها
البلاد .

ويسعدني أن أقدم لقرائنا الكرام ، هذه المجموعة الأولى من تلك
الخطب المنبرية معنونة بما يدلّ على مضمونها ، وقد أمهّد لها بذكر
المناسبة التي أقيمت فيها ، وأرجو من الله العليّ القدير أن يتقبل مني
ذلك المجهود المتواضع الذي بذلته في خدمة دينه ، وأن يوفّقني
لاضافة مجموعات أخرى ، ما أمدّلي في حبل الأجل . كما أتمنى أن

يجد فيها الدعاء إلى الله بعض الأفكار التي يمكن أن تجول في
خواطرها ، أو أنهم قد تناولوها في أحاديثهم بالبيان والتوضيح . وأن
يجد فيها الجيل المسلم ما يطمح إليه في ترشيد وعيه الاسلامي وانماء
حسّه الديني ، إلى جانب إرضاء ذوقه الأدبي ، وإثراء حصيلته
اللغوية .

والله تعالى أسأل أن يأخذ بأيدينا جميعاً إلى ما فيه خير هذه الأمة
لدينها وديناها وآخرتها ، وأن يعصمها من نوازغ الأهواء ، وفواجع
البلاء ، وأن يقيها مصارع السوء وشماتة الأعداء ، إنه سميع الدعاء .

العطف يوم الجمعة 27 ربيع الأول 1413 / 25 سبتمبر 1992 .

المؤلف

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ

نحمدك اللهم يا من هديتنا للإيمان وغمرت قلوبنا به نوراً مبیناً ،
وحبوتنا بنعمة الاسلام ورضيت لنا به ديناً ، فاللهم لك أسلمنا وبك أماناً
فزدنا من فيض رحمتك ثباتاً ويقيناً .

نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمداً عبده
ورسوله ، أدّى الأمانة وبلغ الرسالة صادقاً أميناً ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه أجمعين وبعد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون : يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ
الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾⁽¹⁾ ويقول : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾⁽²⁾
ويقول : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽³⁾ . صدق الله العظيم : ولكي تتدقق
في فهم الآيات الكريمات يجب علينا أن نعرف المعنى اللغوي لكلمتي
الدين والاسلام : يقول أحد المفسرين في ذلك⁽⁴⁾ «الدين في اللغة
الجزاء ، والطاعة والخضوع أي سبب الجزاء . ويطلق على مجموع
التكاليف التي يدين بها العباد لله فيكون بمعنى الملة والشرع .
وقالوا : إن ما يكلف الله به العباد يسمى شرعاً باعتبار جملة التكاليف .
والاسلام مصدر أسلم ، وهو يأتي بمعنى خضع واستسلم ، وبمعنى أدّى .

(1) سورة آل عمران ، الآية 19 .

(2) سورة آل عمران ، الآية 85 .

(3) سورة المائدة ، الآية 03 .

(4) الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار ، ج 03 ، ص 257 .

يقال : أسلمت الشيء إلى فلان إذا أدّيته إليه . وبمعنى دخل في السلم ، وهو بالفتح والكسر بمعنى الصلح والسلامة ، وبالتحريك : الخالص من الشيء . ومن البديهيّ عندنا - نحن المسلمين - أن الدين المحمّديّ الذي نعتز بأننا على ملّته يسمّى بالاسلام ، وأنه الدين المرتضى من الله لخلقه ، جعله الله خاتمة الرسالات ، ونظم شؤون الناس في معاشهم ومعادهم ، وأقامها على النهج الصحيح بما يكفل لها الخلود والبقاء والصلوحية لكل زمان ومكان ، ما تعاقب الليل والنهار ، وكيفما تقلّب الناس في مدارج الحضارة والرقى والازدهار . ولذا أصبحت كلمة الاسلام بمفهومها اللغويّ الشامل علماً بالغلبة على الدين الذي جاء به محمد من ربّ العالمين ، كما سمّي أتباعه بالمسلمين . وفي ذلك تشریف وتكريم لهذه الأمة التي شاء ربّ العزة أن تكون خير أمة أخرجت للناس ، وأن يكون رسولها إمام المرسلين وخاتم النبيّين . فهل نحن واعون بهذه الحقيقة ، ومقدرون لهذا التكريم قدره ؟؟ .. وإلاّ فما هي الميزة التي جعلت هذه التسمية ألصق بنا ممن أسلموا مثلنا وجوههم لله ، ودانوا لطاعته واتبعوا رسله من الذين كانوا قبلنا ؟؟ .. فإن رسل الله أجمعين ما دعوا أقوامهم إلّا لهذا الدين الحق في أصوله ومبادئه العامة من توحيد الله والايمان باليوم الآخر ، والدعوة إلى مكارم الأخلاق يقول المولى تبارك وتعالى في هذا المعنى : ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ (5) ويقول : ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ،

(5) سورة النساء ، الآية 125 .

وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» (6) . إذن فإن هؤلاء الرسل الكرام كانوا مسلمين في أصل دعوتهم ، غير أن الأتباع انحرفوا وزاغوا ، ثم حرفوا وابتدعوا ، فلم يتشرفوا بهذه التسمية التي شرف الله بها أبانا إبراهيم وأرادها صفة باقية في عقبه موصيا بها إياهم : ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ (7) ، ويقول المولى تبارك وتعالى في يسر هذا الدين : ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ، ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ (8) .

أيها المؤمنون .. من خلال هذه النصوص يتضح لنا أن الدين المرتضى من الله لخلقه ، منذ أن بعث إليهم رسله هو هذا الاسلام ، وقد اجتهد كل الرسل جيلاً بعد جيل في تأسيس أركانه وإعلاء بنيانه حتى بلغ تمامه وكماله على يدي محمد بن عبد الله ، ولذلك استحق هو وأتباعه التشريف بهذه التسمية التي وردت في الآية الكريمة بصيغة الحصر على اعتبار كماله عند الله يقول الشيخ رشيد رضا - رحمه الله - «وبذلك تعلم أن المسلم الحقيقي في حكم القرآن من كان خالصاً من شوائب الشرك بالرحمان ، مخلصاً في أعماله مع الايمان ، من أيّ ملة كان ، وفي أيّ زمان وجد أو مكان» (9) .

ورسول الله نفسه يصوّر هذا المعنى في حديثه المشهور إذ

(6) سورة الشورى ، الآية 13 .

(7) سورة البقرة ، الآية 132 .

(8) سورة الحج ، الآية 78 .

(9) الشيخ رشيد رضا ، تفسير المنار ، ج 03 ، ص 257 .

يقول : « مثلي ومثل الأنبياء قبلي ، كرجل بنى دار فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة . فأننا تلك اللبنة »⁽¹⁰⁾ . ما أبلغ تصويرك يا رسول الله لهذا الصرح الشامخ ! .. وما أعظم ذلك المجهود الذي بذله رسل الله على مرّ العصور ، وهم يركزون قواعده ويحكمون أجزائه وفق التصميم الإلهي البديع ، بحيث تجد الخلائق في أفيائه السكن والطمأنينة والرضى ، يقيهم من غوائل الزمان ، ويحصنهم من مكاييد الشيطان . وما تلکم اللبنة التي وضعها رسول الله إلا التاج الرمز لكمال هذا الدين ، والخاتم الإلهي المقدس لشرعية كتابه المبين . يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ، فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ، لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا »⁽¹¹⁾ .

أيها الأخوة المؤمنون : لا عجب أن تحسدنا الملل الأخرى على هذا التمييز الشريف ، فتوسعنا بغضاً ورهقاً ، وتعتنتنا ظلماً وبغياً ، وقديماً كان في الناس الحسد . وإذا كان حاسدك على نعمة لا يرضيه إلا زوالها ، فهل من الكرم والنبل أن نمكّنهم مما يريدون ، ونحقق لهم ما يودّون ؟؟ .. كلاً ! .. فإن الله تعالى يحذرنا من ذلك إذ يقول : ﴿ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾⁽¹²⁾ .

ألا فليعلم الامعات المتخاذلون ، أن هذا الدين ليس بضاعة تحتكر ،

(10) رواه الترمذي في كتاب الأمثال .

(11) سورة المائدة ، الآية 48 .

(12) سورة البقرة ، الآية 109 .

ولا هو وقف على طائفة من البشر ، فإمّا أن نكون حقاً من أنصاره وأشياعه فنفتديه بأموالنا وأرواحنا ، وفي ذلك النصر والعزة والتمكين ، وإما أن نخذله ونسلمه إلى أعدائنا - لا قدر الله - فنكون من المرتدين الخاسرين ، والله تعالى يقول : ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ، فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ (13) .

الخطبة الثانية

تبارك ربي يقذف بالحق علام الغيوب ، مدبر الأمر ومفرج الكرب نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، نستعين به ونستغفره ونتوب ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد خير الأصفياء وأعزّ محبوب ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فيا أمة الإسلام .. لقد امتنّ علينا ربّ العزة وحبانا بشارات ثلاث عندما أنزل على رسوله في حجة الوداع : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ (14) . روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير هذه الآية أنه قال : «أخبر الله نبيّه والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، وقد أتمّه فلا ينقص أبداً ، وقد رضيّه فلا

(13) سورة المائدة ، الآية 54 ، 03 .

(14) سورة المائدة ، الآية 54 ، 03 .

يسخّطه أبداً⁽¹⁵⁾ ويتفق المفسرون على أن هذه الآية الكريمة من أواخر القرآن نزولاً على رسول الله ، إن لم تكن آخرها ، فينتبه سيدنا عمر - رضي الله عنه - بحسّه المرهف وبصيرته النافذة أنها نعي مبكر لرسول الله بعد أداء واجبه وإكمال دينه ، فيبكي ويشفق على يوم الفراق .. ومن الثابت في السيرة أنها نزلت على رسول الله في حجة الوداع . السنة العاشرة للهجرة ، وفي وقفة عرفات لخطبته المشهورة . وقد روي في الصحاح والسنن أن اليهود قالت لعمر - رضي الله عنه - إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا - معشر اليهود أنزلت - لا نخذن ذلك اليوم عيداً . قال : وأي آية ؟ . قال : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾ . قال عمر : إني والله لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ، والساعة التي نزلت فيها . نزلت على رسول الله عشية عرفة في يوم جمعة . وفي رواية أخرى عن أنه قال لليهودي : الحمد لله الذي جعله يوم النحر ، فأكمل لنا الأمر .

أيها المؤمنون .. تقف مبهورين أمام تلك الجمل القصيرة التي تحمل للمؤمنين هذه البشارات الثلاث ، وما تقتضيه منا من واجبات وتكاليف ، لأن هذه الأمة هي محط البشرى ومعقد الآمال ، بدليل كاف الخطاب والاضافة التشريفية في كلمة الدين ، فإن المبشر الراضي هو الله - جلّ جلاله - فأَي تشرّيف وأَي تكريم ؟ .. فإذا قدّر لهذه الأمة أن ينالها الضعف والوهن إذ تخشى غير الله ، فإن الأعداء المتربصين بها سوف يجدون منافذ في صفوفها فيوسعونها ذلاً ورهقاً ، وقد تغلب على أمرها جزاء ما فرطت في جنب الله ؛ غير أن الله الذي

(15) تفسير المنار ، ج 06 ، ص 155 .

أكمل هذا الدين ، ورضيه لخلقه أجمعين ، قد كتب له البقاء والخلود ،
 فيأتي بقوم يحبّهم ويحبونه ، ينصرون دينه ويعلون كلمته من جديد .
 يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿وإن تتولّوا يستبدل قوماً
 غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾⁽¹⁶⁾ ويقول عليه الصلاة
 والسلام : «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت
 مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعزّ عزيز وبذل ذليل» : عزّاً يعزّ
 الله به الاسلام ، وذلاً يذل به الكفر⁽¹⁷⁾ فإذا بيئس الذين كفروا من هذا
 الدين في يوم عرفة بحجة الوداع أن يغلبوه أو يحرفوه - فإن في
 مسيرة الإسلام الكبرى لأياماً خالدة لمثل ذلك النصر المؤزّر ، وسوف لا
 بخلو منها مستقبل الأيام - بحول الله - ما دمنا نعتزّ بلا إله إلا الله ،
 ونجهر بالله أكبر : ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا
 يعلمون﴾⁽¹⁸⁾ . اللهم أعزّ الإسلام والمسلمين ، ويسّر لهم أسباب العزّ
 والتسكين . اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، وأعنا ولا تعن علينا ، كن لنا
 وليّاً نصيراً ، يا نعم المولى ويا نعم النصير .

والحمد لله رب العالمين

(16) سورة محمد ، الآية 39 .

(17) رواه أحمد والطبراني .

(18) سورة يوسف ، الآية 21 .

الصلاة عماد الدين

الحمد لله الذي رفع بيوته بالذكر والعبادة ، وأمر بعمارته وإكرامها عباده ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وهو القائل في محكم كتابه الكريم : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ، فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ ⁽¹⁹⁾ ونصلي ونسلم على سيدنا محمد القائل في ما رواه أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان ⁽²⁰⁾ اللهم صلّي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابه رهبان الليل وأسود النهار ، وعلى من اتبع هداهم إلى يوم تشخص فيه الأبصار . أما بعد : ..

فيا أيها الإخوة المومنون .. حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح إنه نداء الحق ودعوة الإيمان تدوي مجلجلة من فوق المآذن خمس مرات في اليوم ، تهيب بالمؤمنين أن يهرعوا إلى مأدبة الرحمان ؛ في بيوت مطهرة من أدران الدنيا وخبائث الشيطان . نداء تؤوب معه الكائنات مسبحة بحمد ربها ، وترجع صداها السماوات السبع الأرض ومن فيهن . يتلقاه المؤمن بخشوع ووقار ، وتهتز جوانحه لذكر العزيز الجبار ، فإذا بلسانه يلهج بالدعاء المأثور ، اللهم ربّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ، آت محمداً الفضيلة والوسيلة وابعثه مقاما محمودا الذي

(19) سورة التوبة ، الآية 18 .

(20) رواه أحمد وابن ماجة والترمذي وابن حبان .

وعدته⁽²¹⁾ ثم هو لا يشغله شاغل عن تلبية ذلك النداء رجاء أن يكون في عداد من وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾⁽²²⁾ إنها الفترة الروحية الندية التي تقطع وتيرة الانشغال المادي الموار بالانفعالات النفسية والتوترات العصبية لمتاعب الدنيا وعلاقات الناس ، فتتزوّد النفس المؤمنة بتلك النفحات الربانية التي تضي عليها الرضى والطمأنينة ، وتزوّد بها بالثبات واليقين . ولا شك أن هذه الآثار الروحية تتضاعف أضعافاً كثيرة في صلاة الجماعة لما لها من الفضل والأجر . وقد روي عن النبي ﷺ أنه لم يزل يصلي الجماعة حتى مات ، وأمر المسلمين بالمحافظة عليها ، ورغبهم وشدد عليهم حتى قال : «من سمع النداء فليجب ، ومن لم يجب فلا صلاة له إلا من عذر . وحسبكم موقفه من ابن أم مكتوم وهو الضرير الشاسع الدار⁽²³⁾ مما جعل بعض العلماء يعتبرون فرضيتها على العين لا على الكفاية .. ولنستمع إلى ابن مسعود (رضي الله عنه) هذا الصحابي الجليل الذي كان الرسول يقول عنه : «تمسكوا بعهد أمّ عبد» . قال (رضي الله عنه) : «من سرّه أن يلقي الله مسلماً فليحافظ على الصلوات المفروضات حيث ينادي بهن من الجماعة ، فإن الله شرع لنبيئكم سنن الهدى ، ولعمري لو صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيئكم ، ولو تركتم سنة نبيئكم لضللتم ، ولقد أتى علينا زمان ما يتخلف عنهن إلا منافق معلوم نفاقه ، ولقد

(21) رواه البخاري .

(22) سورة النور ، الآية 38 .

(23) انظر كتاب الوضع للإمام ابن زكرياء يحيى ، ص 110 - 111 .

رأيت الرجل يتهدى بين اثنين حتى يقام في الصّف ، وما من رجل يتطهر في بيته ويحسن طهوره ، ثم يعمد إلى مسجد من المساجد فيصلّي فيه إلّا كتب الله بكل خطوة حسنة ، ورفع له بها درجة ، وحظ عنه بها خطيئة . وإنا كنا لنقارب بين الخطأ ، وإن صلاة الرجل مع الجماعة تفضل على من صلّى وحده بخمس وعشرين درجة» (24) .

وقد كان الصحابة (رضوان الله عليهم) والسلف الصالح من هذه الأمة شديدي الحرص على حضور الجماعة وعمارة بيوت الله ، إذ يؤثر عن الكثير منهم أنهم لا يكادون يفلتون صلاة مع الإمام إلّا من عذر قاهر ، حتى روي عن أحد الصالحين أنه قال : «فاتتني صلاة الجماعة يوما فعزّاني أحد معارفي وحده ، ولو مات لي ولد لعزّاني أكثر من عشرة آلاف رجل ، لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا» . وقال آخر : «ما أشتي من الدنيا إلّا ثلاثاً : أخافى الله ، إن تعوّجت قومني ، وقوتا من الرزق عفوا بلا تباعة ، وصلاة في جماعة يرفع عن سهوها ويكتب لي فضلها» (25) . وهذا رسول الله ﷺ افتقد عليّا في صلاة الصبح فدخل على فاطمة وقال لها : «ما شغل ابن عمّك ؟؟ .. فقالت : بات قائما يصلّي ، فلما طلع عليه الفجر صلّى فاضطجع ، فقال : لو صلّى مع الجماعة لكان أفضل له .

وتسائل : لِم هذه الأهمية التي أولاها الاسلام لصلاة الجماعة ؟؟ .. ولا نحترق في الإجابة إذا علمنا أن الإنسان مدنيّ بطبعه ، وأن الجماعة الإنسانية هي أفضل وسيلة وأجداها للتغيير الاجتماعي عن طريق المشاركة والقدوة ، وإذكاء التجاوب الوجداني بالإيحاء والمحاكاة ،

(24) انظر كتاب الوضع للإمام ابن زكرياء يحيى ، ص 110 - 111 .

(25) انظر كتاب الوضع للإمام ابن زكرياء يحيى ، ص 110 - 111 .

وهما من أكبر الدوافع في ما أثبتته علم النفس لتعديل السلوك الاجتماعي وتيسير آلياته . ثم إن صلاة الجماعة وسيلة عظمى لزرع بذور المودة والإخاء وإزالة الحقد والبغضاء ، فتتآلف القلوب على تقوى من الله ورضوان ، وبالتالي تتحقق المساواة والعدالة الاجتماعية في المجتمع المسلم ؛ إذ أن المومنين في صلاتهم الجماعية يظللم بيت واحد ، لا مكان فيه لتفضيل أحد على أحد . فهم كلهم يتقربون إلى الله بالطاعة والخشوع ، ويأتون يمام واحد إلى قبلة واحدة . حيث لا مكان لمال ولا جاه ولا حظوة . كلهم يدين بالعبودية لله ، ويطلبون الهداية والتوفيق وهم يرددون : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين ، إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ (26) فما أروع تلك الصفوف المتراسة وراء الإمام في خشوع ونظام ، وما أخشع تلك الأصوات اللاهجة بذكر الله ، تردد أصداءها الآفاق وتخرق السبع الطباق ، لتعرج إلى الله ببيضاء مسفرة ، مهللة مكبرة ! .. فكيف يتوالى كسول ويتخلف عن هذه المكرمة جريا وراء متاع من الدنيا قليل ، وهو لا يدري في رحلة عمره متى ينقطع به السبيل ؟ ووطنوا أنفسكم - أيها المومنون - على حضور الجماعة ، فإنها الوسيلة المثلى لاستنزال الرحمت واستدرار البركات ، وهي الدرع الواقي من الشرور والفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، جعلني الله وإياكم من مقيمي الصلاة ، وغفر لنا ما نجتريه من السيئات .

(26) سورة الفاتحة ، الآيات 5 - 6 - 7 .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله (27)
ونصلي ونسلم على أشرف خلق الله ، محمد بن عبد الله وعلى آله
وأصحابه ومن والاه . وبعد : فيا أمة الإسلام ، إن لصلاة الجماعة آداباً
يجب مراعاتها ، ونحن نجترىء منها على القدر الذي يضمن لنا الأجر ،
ولا يتعدى حدود اليسر .

منها أن نتوخى السعي إليها بالسكينة والوقار ، لما ثبت عن رسول
الله ﷺ أنه قال : «إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة
والوقار ولا تسرعوا ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا» (28) كما
تجب متابعة الإمام وتحرم مسابقته ، أما المساواة فمكروهة ، وقد روي
عن رسول الله أنه قال : «إنما الإمام ليؤتم به ، فإذا كبر فكبروا ، ولا
تكبروا حتى يكبر ، وإذا ركع فاركعوا ، ولا تركعوا حتى يركع ، وإذا
سجد فاسجدوا ، ولا تسجدوا حتى يسجد» (29) ومنها تسوية الصفوف
وسد الفرج وتوسيط الإمام لقوله ﷺ .

وسطوا الإمام وسدوا الخلل (30) ثم حسن الإنصات والاستماع لقراءة
الإمام ، فإن ذلك أدعى للخشوع وأجلب للطمأنينة والوقار . ويحذر
المصلون من كل تشويش في الصفوف يقطع على المؤتمين خشوعهم ،
حتى من الجهر بالدعاء وغيره من أقوال الصلاة ، فما بال غير ذلك من

(27) سورة الأعراف ، الآية 43 .

(28) رواه الشيخان .

(29) رواه أحمد .

(30) رواه أبو داود .

الحركات أو الأصوات المزعجة من عطاس أو جشاء أو طرطرقة الأصابع أو أجراس الساعات اليدوية ؟؟ .. ولا يخفي ما في الترغيب النبوي في الصف الأول وميامين الصفوف . فقد روي عنه عليه السلام أنه قال : «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليها لاستهموا»⁽³¹⁾ .

أيها المومنون .. هذا غيض من فيض مما ورد في فضل صلاة الجماعة وآدابها ، فلا يصدنكم الشيطان عن المحافظة عليها . فما من أحد تيسرت له الأسباب فانشغل عنها إلا فاته الخير الكثير والثواب الجزيل حتى قال العلماء : «يستحب للمؤمن أن يصلي في المسجد الأبعد الذي يجتمع فيه العدد الكثير لأن الرسول قال : إن أعظم الناس في الصلاة أجراً أبعدهم إليها مشى»⁽³²⁾ أعاني الله وإياكم إلى طاعته وحسن عبادته ، ووفقنا جميعاً إلى اتباع سنة نبيه الكريم ﷺ ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربنا وتقبل دعائي ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾⁽³³⁾ .

والحمد لله رب العالمين

(31) رواه البخاري .

(32) رواه مسلم .

(33) سورة إبراهيم ، الآية 40 - 41 .

أقم الصلاة لذكرى

الحمد لله الذي خلقنا لعبادته ، وجعل الصلاة عماد الدين وحصن اليقين ، وأمرنا بالمحافظة عليها فقال جلّ من قائل : ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ، وقوموا لله قانتين﴾ . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو يتولّى الصالحين ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله قدوة المصلّين وإمام المتقين ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وأصحابه الغرّ الميامين . أما بعد : فيا أيها الأخوة المومنون .. قد تعتري المؤمن انشغالات تنسيه ذكر ربّه ، أو تناوشه مغريات ومفاتن تقعه عن القيام بحق ربّه على الوجه الأكمل . ذلك لأن الإنسان مفتون في كل أحواله بما يمحصّ إيمانه ، ويضعه أحياناً على محكّ الاختبار فيجزع حتى إذا أصبح في سعة من أمره ، ويسر من حاله ، أبطرتة النعمة فأصبح من الفرحين . يقول تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ (34) ولا شك أن الصلاة هي أوثق صلة تكون بين العبد وربّه ، إذ يخلص فيها لذكره وعبادته في وقت معلوم وبكيفية مضبوطة حدّدها الشرع الحنيف . وهي في معناها ولبّها وسيلة مثلى لذكر الله ، والتماس عفوه ورضاه . يقول تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (35) ويقول مخاطباً سيدنا موسى عليه

(34) سورة الزمر ، الآية 08 .

(35) سورة العنكبوت ، الآية 45 .

السلام : ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ، وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (36) يقول السيد قطب - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي : الأولى لإثبات الألوهية لله ، والثانية لنفيها عن سواه . وعلى الألوهية تترتب العبادة ، والعبادة تشمل التوجه لله في كل نشاط الحياة ، ولكنه يخص بالذكر منها الصلاة «وأقم الصلاة لذكري» لأن الصلاة أكمل صورة من صور العبادة ، وأكمل وسيلة من وسائل الذكر : لأنها تتمحص لهذه الغاية ، وتتجرد من كل الملاحظات الأخرى ، وتتهياً فيها النفس لهذا الغرض وحده ، وتتجمع للاتصال بالله» (37) .

أيها المومنون .. إن المؤمن الصادق لا يغفل عن ذكر الله في كل أحواله حتى وهو منصرف لشؤون دنياه في أشدها إلهاء وأكثرها إغراء من التجارة والأموال والأولاد . لذلك جاء هذا الوعيد الإلهي محذراً من عواقب ذلك فقال جلّ من قائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَلْهَكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (38) ثم هو سبحانه يثنى على أولئك المخلصين الذاكرين من عمّار بيوت الله بأنهم : ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (39) .

وبما أن الإنسان معرض بطبيعته إلى الغفلة والسهو ، مفتون

(36) سورة طه ، الآية 14 وتفسيرها ظلال القرآن ، ج 16 ، ص 467 .

(37) سورة طه ، الآية 14 وتفسيرها ظلال القرآن ، ج 16 ، ص 467 .

(38) سورة المنافقون ، الآية 09 .

(39) سورة النور ، الآية 47 .

بالإنصراف لمتاع الدنيا في كثير من أوقاته ، فإن مجالات الذكر تنحصر عنه وهو يمارس نشاطه اليومي ، وفي ذلك مسارب للشيطان إلى كثير من الغافلين . وكثيراً ما يتعرض هؤلاء إلى السهو عن صلاتهم ، فلا يقيمونها على الوجه الأكمل كما أمرهم الله . ثم هم يتمادون على ذلك حتى يندرجوا في زمرة الذين قال الله فيهم : ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون﴾ (40) .

أيها الأخوة المؤمنون .. إن إقام الصلاة المؤكد عليه في القرآن الكريم بصيغ مختلفة ، إنما يعني أداؤها بأركانها وسننها وهيأتها التي رتبها رسول الله ﷺ وقال لأصحابه : «صلوا كما رأيتموني أصلي» (41) مع المداومة والمحافظة عليها في أوقاتها المشروعة ، فإن ذلك مما علم من الدين بالضرورة ، نلقنه لأبنائنا منذ حداثة سنهم ، ونحن لهم قدوة في ذلك لا نبتدع ولا نحيد قيد أنملة عما ثبت عن رسول الله ﷺ ، سيما ما جاء في حديث المسيء في صلاته الذي يعتبره المحدثون أصح قول وأكمل في الصورة المشروعة للصلاة (42) . وهي لا تتم إلا على تلك الصورة التي بينها رسول الله قولاً وعملاً وخشوعاً بين يدي الله تعالى ، وإن أحد أخل بشيء من ذلك فإنه لم يصل ، كما قال الرسول للمسيء في صلاته : «ارجع وصل فإنك لم تصل» .

فما بالناس - أيها المسلمون - لا نغير إهتماماً لأولئك الذي يسيئون في صلاتهم ، فلا يتممون ركوعهم ولا سجودهم ، ولا تخشع جوارحهم

(40) سورة الماعون ، الآية 4 - 5 - 6 - 7 .

(41) رواه البخاري .

(42) راه البخاري ومسلم وأحمد .

في قيامهم وجلوسهم ، ونحن نعلم أن الخشوع هو روح الصلاة ولتّها وعليه يترتب الفلاح في قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (43) ، وقد أبصر رسول الله ﷺ رجلاً (44) يعبث بلحيته في الصلاة فقال : «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» . ويروى عن التقي الزاهد حاتم الأصمّ أنه قيل له : «كيف تصلي؟؟» فقال : إذا أردت الصلاة أسبغت الوضوء ، ثم أتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه ، فأقعد حتى تجتمع جوارحي ، ثم أقوم في المصلى ؛ فأجعل الكعبة بين حاجبي ، والصراط تحت قدمي ، والجنة عن يميني ، والنار عن شمالي ، وملك الموت ورائي ، وأظنها آخر صلاتي ، ثم أقوم بين الرجاء والخوف ، وأكبر تكبيراً بتحقيق ، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعاً بتواضع ، وأسجد سجوداً بتخشع ، ثم أجلس على التمام ، وأشهد على الرجاء ، وأسلم بالسنة وأتبعها باخلاص ، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا ؟» (45) .

تلكم - أيها المؤمنون - عيّنات من توجيهات الرسول ماثلة في تشخيص صلاة العارفين بالله ، السالكين في عبادتهم نهج الأولياء والصالحين ، فيجب علينا أن نجتهد في أداء صلواتنا على الوجه الأكمل حتى نكون قدوة لأبناء المسلمين ، ثم نقوم بإرشاد كل من يسيء في صلاته جهلاً أو سهواً أو تقصيراً ، مترفقين في إرشادنا مخلصين ، والله تعالى لا يضيع أجر المحسنين .

(43) سورة المؤمنون ، الآية 01 .

(44) انظر كتاب الوضع ، ص 124 - 125 .

(45) انظر كتاب الوضع ، ص 124 - 125 .

الخطبة الثانية

الحمد لله العلي العظيم القائل في محكم كتابه الكريم : ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ، ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير﴾ (46) وأشهد أن لا إله إلا الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أفضل العابدين ، وأعظم الذاكرين ، صلى الله وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد : .. فيا أيها المصلّون إن الرسول الكريم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، فليس أروح على قلبه ولا أجلب لسروره منها إذ قال ﷺ : «وجعلت قرّة عيني في الصلاة» (47) . ذلكم لأنها تصله بالحضرة الربانية فتفيض عليه نوراً وجلالاً ، وتنفّح روحه إشراقاً وإقبالاً ، وحينئذ تنبّهت زينة الدنيا ومفاتها في سمّ النفس ونقائها ، فإذا بالعبد الصالح تتجلى لبصيرته حقائق الوجود ، فلا تستهويه إلاّ عظمة المعبود . يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿واقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر﴾ (48) ، يقول أحد المفسرين لهذه الآية الكريمة : «وهذا المعنى من النهي عن الفحشاء والمنكر هو من حكمة جعل الصلوات موزعة على أوقات من النهار والليل ، ليتجدّد التذكير وتتعاقب المواعظ ، وبمقدار تكرر ذلك تزداد خواطر التقوى في النفوس ، وتتباعد النفس من العصيان حتى تصير التقوى ملكة لها ، ووراء ذلك خاصية إلهية جعلها الله في الصلاة ، يكون بها يسير الإتهاء عن الفحشاء والمنكر» (49) .

(46) سورة هود ، الآية 112 .

(47) رواه البخاري .

(48) سورة العنكبوت ، الآية 45 .

(49) هو الإمام الشيخ الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 20 ، ص 260 .

نعم ! .. أيها الأخوة المؤمنون ، هناك خاصية إلهية جعلها الله في الصلاة تنهى المؤمن عن الفحشاء والمنكر ، وقد صوّر الرسول ذلك أبلغ تصوير عندما قال : «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال : فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»⁽⁵⁰⁾ . فلا عجب - إذن - أن تكون الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين ، ولا بغريب أن يحكم على تاركها بالكفر ، ويسلك في عداد المجرمين إلى الجحيم إذا لم يتب وهو قد تركها استخفافاً بحقها يقول تعالى بشأن عذاب المجرمين في جهنم ﴿ما سلككم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين﴾⁽⁵¹⁾ .

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين ، واغمر قلوبنا بالطمأنينة واليقين ، وأعنا على طاعتك وذكرك وحسن عبادتك . اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشائخنا ولجميع المسلمين والمسلمات ، ولا تخزنا يوم يبعثون ، واجعلنا من المفلحين الفائزين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

(50) انظر كتاب الوضع ، ص 91 - 92 .

(51) سورة المدثر ، الآية 42 - 43 .

دور المسجد في الإسلام

الحمد لله ذي العظمة والجلال ، هدانا إلى الإيمان وأتقنا من الزيغ والضلال ، وجعل من بيوته مثابة للناس وأمنا ، ومعالم في طريق الحق ترشدكم في كل حال ، فأذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه فقال جلّ من قائل : ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾⁽¹⁾ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل : «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»⁽²⁾ فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن أهدى بهديهم إلى يوم الدين . أما بعد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون .. لا يعزب عن بالنا مكانة المسجد في الإسلام ، ولا يغيب عن ذاكرتنا ذلك الدور القيادي الذي اطلع به في مسيرتنا التاريخية عبر القرون ، انطلاقاً من المسجد النبوي الشريف ، فهو أول جامعة إسلامية تخرج منها جهابذة العلماء وأساطين الفكر وزعماء الإصلاح ، والأفذاذ من الساسة ، والدهاة من القادة ، والمشاهير من رجال الحرب . فمن هذا المسجد انبعث نور الإسلام وترعرع حتى اشتد ساعده وصلب عوده فعمّ الآفاق طاهراً وهّاجاً . وفي رحاب هذا المسجد لا يزال الإسلام يؤدي رسالته كاملة رغم كيد الكائدين ودسائس

(1) سورة التوبة ، الآية 18 .

(2) رواه أحمد وأبو ماجة والترمذي وابن حبان .

الملحدين . ولقد استطاع المسجد عبر القرون والأجيال ، أن يروّض نفوساً أغربت في وحشيتها وأمعنت في شراستها ، وتمكّن بحكمته الواعية وقديسته الطاهرة أن يجمع أشتاتاً شردت عن رسالتها في فترات من النكوص وغلبة الأهواء ، فأتقذهم من فتنة العداوات والعصبيات ، وضراع التحزّب والانتماءات ، فأصبحوا بنعمة الله إخواناً ، وعلى البرّ والتقوى أعواناً ، يحيون السنن ويميتون البدع ، ووقفوا أطوفاً شامخة أمام الزحف الصليبي والمغولي وغيرهم من أعداء هذه الأمة . وها نحن اليوم - والحمد لله - نعيش عودة الوعي الاسلاميّ لا في بلاد الأمة الإسلامية فحسب ، بل حتى في قلعة الكفر والالحاد من أوروربا وأمريكا وشمال شرق آسيا وغيرها من بلاد الله ، فإذا بتلك النفوس الظمأى إلى حرارة الإيمان وبرد اليقين تهفو إلى بيوت الله خاشعة خاضعة منيبة إلى ربها ، راضية قانعة تستلهم الرشد في رحابها ، وتتفيأ ظلال التقوى في الغدوّ والآصال : ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ (3) .

أيها الأخوة المؤمنون .. إذا كان هذا هو الدور القياديّ للمسجد في الإسلام منذ انطلاقاته الأولى ، وهذه هي المنزلة التي بوأه الله إياها إلى أن تقوم الساعة ، أفيجمل بنا أن نفصّل نحن من قيمته ؟؟ .. أو أن نقعد عن نصرته وعمارته ، جرياً وراء متاع من الدنيا قليل ، أو انخداعاً بدعايات مغرّضة ، لا برهان عليها ولا دليل ؟ .. ونحن الألى قامت حضارتنا على أسس من تقوى الله ورضوانه ، وتمحورت أنظمتنا على المسجد وأركانها . فرحم الله شيخنا أبا عبد الله محمد بن بكر

(3) سورة النور ، الآية 36 - 37 .

الفرسطائي⁽⁴⁾ الذي أرسى قواعد المجتمع المسجدي في هذه الديار ،
ليحفظ كيانه من عوامل الانهيار والاندثار .

ومن عجيب المفارقات أن تنعكس الآية ويحاول اليوم من فقد
الرشد والتوفيق ، أن يحوّل مسار هذا المجتمع المسجدي الذي صمد
لأزيد من عشرة قرون ، فيريده مسجداً كهنوتياً لا يحق له أن يهتم
بشؤون المجتمع ، بدعوى أن ذلك من أمور السياسة التي لها رجالاتها
ومجالاتها؟؟ .. فكأن مفهوم السياسة عند هؤلاء يعني كل منكر من
الأفعال والأقوال ؛ التي يتنزه عنها الصادقون الأوفياء من الرجال .. فإن
كان ذلك ما يريدونه من السياسة فيبوت الله منها براء ، وحاشا لدين
الله أن يعين على المنكر والفحشاء . وإلاّ فما عرف الإسلام يوماً
الإنقسام بين العلم والإيمان ، ولا بين الدين والسياسة بمفهومها
الصحيح ، وإلاّ فما هي هذه المهمة التي يريدون أن يمنعوها عن
المسجد؟؟ .. أهي دعوة المؤمنين إلى الوحدة والإخاء والاعتصام بحبل
الله ؟ أم إرشادهم إلى التعاون على البرّ والتقوى ، وإلى نصره الحق
بالإحتكام إلى شرع الله ، وإصلاح ذات البين ، ومحاربة المنكرات
والضرب على أيدي المفسدين ؟ أم هي هذه الأنظمة الاجتماعية
المحكمّة التي يجد فيها كل مواطن قسطه من العدل والإنصاف ،
والتوازن والمساواة والتي يتعهدها المسجد بالرعاية والتنظيم ، والتنسيق
والتعديل حسب مقتضيات الظروف والأحوال⁽⁵⁾ ؟ أم هي تلك

(4) هو أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي الليبي الداعية الإباضي المشهور . وهو المؤسس لقواعد السيرة
في نظام العزابة الذي ما يزال يطبق في وادي ميزاب ووارجلان بالجنوب الجزائري ولّد سنة 345 هـ
وتوفي 440 هـ . أنظر ترجمته في كتاب : الإباضية في الجزائر للشيخ علي يحي معمر ، ص 176 إلى 192 .

(5) يتفق العزابة ومجلس الأعيان في قرى وادي ميزاب على إجراءات تنظيمية للأعراس والمآتم والولائم
المختلفة في المناسبات الدينية والوطنية ، يحدّدون فيها النفقات في التكاليف والعادات المتبعة فيلتزم بها
المواطنون كلهم تحت إشراف المسجد .

المؤسسات الخيرية التي ترعرت في كنف المسجد يزكيها القصد النبيل والنية الصادقة في ابتغاء ما عند الله ، وتنميتها صدقات المحسنين لتلعب دورها الاجتماعي في محيط الأسرة والعشيرة ، وفي المؤسسات التربوية لتنشئة الأجيال في عبادة الله ؟ ..

وإن تعجب فعجب أن تجد هذه الدعايات المغرضة سبيلها إلى كثير من شبابنا ورجالنا بل حتى من نساءنا ، فصاروا يرددونها دونما وعي ولا إدراك لخلفياتها الخبيثة ، وهم لا يقدرّون العاقبة الويلة لهذه الإفتراءات لو قدر لها أن تسود ، ومن سذاجة بعض أبنائنا أن تنطلي عليهم هذه الحيلة الماكرة ، إذ يدعون أن العزابة قد جرفهم تيار السياسة فانشغلوا بها وتركوا مهمتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى لكأن دروس شهر رمضان ، قد أصبحت في طيّ النسيان⁽⁶⁾ أو كأن هذا المنبر ظل مقفراً طيلة السنة ليس له حول ولا طول . وإلاّ فما هي هذه المنكرات التي سكت عنها المسجد ؟ .. إنها في نظر هؤلاء السذج ذهاب النساء إلى الحمام الذي فتح أبوابه في هذه الأيام ، أو تلك القوافل من النساء اللاتي يركبن الحافلات أو سيارات الأجرة إلى غرداية ، أو البنات اللاتي يخرجن من المدرسة في وقت الظهيرة إلى غير ذلك من النشاطات العادية البريئة . فماذا يريد هؤلاء من العزابة أن يقوموا به في مثل هذه الأمور ؟ ؟ .. أيريدونهم رجال أمن ينظمون المرور في الطرقات ؟ ويطرصدون نشاط أرباب المحلات ؟ أم يريدونهم جواسيس يكشفون عورات الناس وهم يتسترون بستر الله في زواياهم ؟ كلاً .. أيها الأغرار .. إذا كان ولا بدّ من يقظة وحذر لما ينجّر عن هذه الظواهر ، فأنتم أيها الشباب الحراس اليقظون في

(6) تحدّد محاور دروس شهر رمضان المعظم بإشراف مجلس «عمي سعيد» في كل سنة حسب المواضع التي تملّحها الظروف العامة والأوضاع الاجتماعية الخاصة بواد ميزاب . وتؤخذ في كل المساجد .

الحفاظ على طهر المجتمع وصونه من الخبائث والشرور ، وإذا كان من تغيير المنكر باليد فالكل منا راعٍ وهو مسؤول عن رعيته كما قال رسول الله ﷺ : « فما على المسجد إلا أن يبين للناس سبيل الرشـد من الغي بما أمر الله أو نهى عنه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأن يجمعهم في رحابه على ذكر الله وعبادته في صفوف متراسة وتوجّه واحد في ما يرضي الله » . فاللهم وفقنا لما تحبّه وترضاه ، وهيء لنا من أمرنا رشداً .

الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده ونستعين به ، ونستغفره وتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل : « من بنى لله مسجداً ، ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتاً في الجنة » (7) اللهم صلّي على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه الأبرار . وبعد : فقد ورد في عمارة المساجد أحاديث كثيرة تبين ما فيها من ثواب وأجر ، سواء لانشائها ابتداء ، أو لتوسيعها وإتمام مرافقها بكل ما يجعلها تستجيب لراحة المصلّين ، وتوفّر الجوّ الطاهر الخاشع للعابدين والذاكرين . وإنه لمن علامات التوفيق ودواعي الخير والبركات ، أن يمنّ الله على جيل من الأجيال فيسعى لبناء مسجد أو توسيعه وتجديد مرافقه . فها نحن - والحمد لله - نعتبر أنفسنا محظوظين سعداء أن تكون هذه المبرّة من نصيبنا وبصنع أيدينا . إذ شرعنا - بحول الله - في توسعة رحاب هذا

(7) رواه أحمد وابن حبان والبخاري .

المسجد المبارك⁽⁸⁾ فطوبى لكل العاملين في إنجاز هذا المشروع الذي لا نشك في مدى خيره وفضله ، على هذا المجتمع الطاهر النبيل عبر عشرة قرون من الزمن ، وهو رابض على ذروة هذه الربوة العتيقة ، التي تكونت بها نواة هذه البلدة الطيبة ، ثم أصبحت مع مرور الأيام واتساع العمران هي أم القرى في هذا الوادي الأمين ودرته الغالية .

أيها المؤمنون .. لتعلموا علم اليقين ، أنه مهما وضع البشر من الدساتير والقوانين ، ومهما شرعوا من زواجر وعقوبات لردع المنحرفين ، فإنهم لن يبلغوا شأواً المسجد في إيقاظ المشاعر النبيلة ، وإذكاء روح الطهر والفضيلة ، وبعث الوعي الاجتماعي ، والحسّ الديني والوطني في صفوف الجماهير المؤمنة ، ذلكم لأن المسجد بيت الله العظيم ، يستمدّ من مشكاة نوره المبين ، ويلوذ بعظمته وجلاله وسلطانه . فهيهات أن يدنسه المرجفون ، أو يحط من قدره العابثون الغافلون يقول تعالى : ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ، أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين ، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾⁽⁹⁾ بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ، وجعلني وإياكم من عمار بيوت الله والمكرمين على مائدته ﴿ربنا لا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾⁽¹⁰⁾ .

(8) تمت توسعة المسجد الكبير على مرحلتين: الجزء الشرقي في سنة 1985 والجزء الغربي في سنة 1992.

(9) سورة البقرة ، الآية 114 .

(10) سورة آل عمران ، الآية 08 .

بيوتي في الأرض المساجد

الحمد لله العلي العظيم القائل في محكم كتابه الكريم : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ ⁽¹¹⁾ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان » ⁽¹²⁾ فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الهداة المهديين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فيا أمة القرآن .. إن المسجد في الإسلام هو أول جامعة ربّانية تخرّج منها جهاذة العلماء ، وكبار الساسة والزعماء . فمن هذا المسجد انبثق نور الإسلام ساطعاً وهّاجاً يغمر الكون بسنائه ، ويذكي حرارة الإيمان في النفوس ، فتندفع كالتيار الجارف تضيق عنه السدود ، وتتحسر أمامه الحدود ، وبين أحضان هذا المسجد ترعرع الإسلام حتى اشتدّ ساعده فخرج إلى الآفاق ينشر هداه ويركّز دعائم التوحيد ويرسي حكم الله العادل ، فانزهق الباطل واندكت عروش الطواغيت ، وفي رحاب هذا المسجد ما يزال الإسلام يؤدي رسالته في التوحيد والإرشاد ، وقد عاد الوعي الإسلامي - بفضل الله - إلى الأفئدة فانشرحت الصدور واهتزت النفوس تستجيب داعي الله ، وتستروح نemat الفجر الوضوء يشق سجن الظلام ، ويجلّي للأبصار والبصائر

(11) سورة النور ، الآية 36 .

(12) تقدم .

نصاعة نور الله ، وقد أخذ كأول عهده في خير القرون يكتسح
الخرافات والأباطيل ، ويكشف دسائس أعداء الله من الكافرين
والمنافقين وأشباههم ممن يساومون في دينهم وتاريخهم .

أيها المؤمنون .. إن رسالة المسجد لا تنحصر في مجال العبادات
بمفهومها التقليدي الضيق من صلاة وتلاوة ودعاء ، بل هي تتناول كل
نشاطنا الإنساني في مجالاته المختلفة من اجتماعية وثقافية واقتصادية
وسياسية ، لأن الإسلام في حقيقته منهج حياة كامل وشامل ، ونظام
سلوك لا تنفصم فيه الشخصية الإنسانية بين روحية ومادية ، ولا بين
دينية ودنيوية . وبالتالي فإن المسجد هو وحده المكان الطاهر الذي
ترصد فيه الشياطين وتخبو الشهوات ، وتذوب فيه الفوراق وتنحسر
الرغبات . وبالتوجه فيه إلى الله والإقبال على مناجاته تطمئن النفوس
وتهدأ الهواجس ، فتتنزل الرحمات ، وتحف بالمؤمنين ملائكة
الرحمان . وذلكم هو مقام الخشية المعبر عنه في الآية الكريمة : ﴿وَلَمْ
يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾⁽¹³⁾ والذي يضمن لصاحبه الهداية والتوفيق . وقد جاء
في الحديث القدسي الشريف : «إن بيوتي في الأرض المساجد ، وإن
زوّاري فيها عمّارها ، فطوبى لمن تطهر في بيته وزارني في بيتي ،
وحق على المزور أن يكرم زائره»⁽¹⁴⁾ وقال رسول الله ﷺ : «من تطهر
في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله ،
كانت خطواته إحداها تحطّ خطيئة والأخرى ترفع درجة»⁽¹⁵⁾ .

أيها المؤمنون .. إذا كانت الحياة المعاصرة قد تفتت في تأطير

(13) سورة التوبة ، الآية 18 .

(14) رواه الحاكم .

(15) رواه مسلم .

الجماعات البشرية على مختلف طبقاتها بضروب من اللهو واللغو ،
 وابتدعت لها مرافق وتجهيزات تثقل ميزانية الدول ، لتشغل بذلك
 الجماهير وتضبط نزوات الشباب ، فإن بيوت الله - لو تعلمون - لهي
 أكرم مكان تلتقون فيه مع إخوانكم لمناجاة ربكم حيث تسبحون في
 بحار المغفرة والرضوان ، وتحفّ بكم ملائكة الرحمان ، فتوثق بينكم
 أواصر المحبة في الله ، وتتحد صفوفكم وتصفو مشاربكم وتطمئن
 نفوسكم بذكر الله .. ألا فأقبلوا عليها وعمّروها بما يرفع شأنها ويعلى
 قدرها ، ويضمن تأدية رسالتها كما أرادها الله . تنافسوا في الإنفاق
 لبنائها أو صيانتها من حلال أموالكم ، وكونوا في ذلك قدوة لأبنائكم
 وأحفادكم . عسى ربنا أن يهدينا سبل رشدنا ويوفقنا لصالح أعمالنا ،
 إنه مولانا ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أحيا قلوبنا بالذكر والعبادة ، وأنطق ألسنتنا
 بالشهادة ، وألهمنا حلاوة الإيمان وحبانا طمأنينة وسعادة . وأشهد أن لا
 إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿وإن المساجد لله فلا تدعوا
 مع الله أحداً﴾⁽¹⁶⁾ سبحانه ذو العظمة والجلال ، المتفرد بالقدرة
 والكمال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي الرحمة ورسول الهداية
 صلوات الله وسلامه عليه وبعد :

فيا عباد الرحمان . إن هذه النتائج المرجوة من عمارة بيوت الله لا
 يمكن أن تتحقق بمجرد الأقوال الجوفاء أو المظاهر السطحية الخاوية ،

(16) سورة الجن ، الآية 18 .

وإنما تتحقق هذه الفضائل وترجى ثمارها إذا كانت برغبة صادقة ونية خالصة ، لأن كل عبادة أو طاعة تقوم بها في بيت من بيوت الله لا يمكن أن تحظى بالرضى والقبول من الله إلا إذا وفينا لهذه المساجد حقها من الاحترام والتقدير والرعاية والصيانة ، وفق ما أمرت به الشريعة المطهرة ، وما سنته من آداب يلتزمها المسلم من أول خطوة يخطوها إلى المسجد حتى يعود إلى منزله أو عمله ، وقد أفاض على روحه من بركات ذلك المكان الطاهر المقدس ، ما يجعل قلبه يهفو دائما إلى العودة إليه كلما سمع نداء الحق ، حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح ، حتى يكون في عداد الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، كما وعد بذلك رسول الله ﷺ إذ قال : «في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ورجل تعلّق قلبه بالمسجد ، إذا خرج منه حتى يعود إليه» (17) .

فطوبى لكل مسلم وطّن نفسه على أن يكون من الزوّار الأوفياء لبيوت الله ، ومن الدائذين على حرّمات الله ، يغار على قدسية المسجد أن تحتقر أو تهان ، ويردّ عن كل عابث يريد أن ينال من حرّمته ، أو طائش لا يحافظ على مرافقه وأجهزته .

اللهم وحدّ صفوفنا ، وأعتق رقابنا من النار ، واجعل التعاون شعارنا والتآخي صام الأمان لوحدتنا ، وأدم عزنا وانصرنا على القوم الكافرين . اللهم وفق العاملين المخلصين من أبناء هذه الأمة الداعين إلى نصرته دينك وإعلاء كلمتك ، اللهم أيدهم بروح منك ووهم عليهم كيد الكافرين والمنافقين يا أرحم الراحمين .

(17) متفق عليه .

إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ

بعد سلسلة من دروس الوعظ والإرشاد في المسجد الكبير بالعطف من فاتح ربيع الاول لسنة 1411 هـ الموافق ليوم 20 / 09 / 1990 تعرضت فيها لجوانب من شخصية رسول الله وأخلاقه الكريمة توجّتها بخطاب صلاة الجمعة ليوم 23 ربيع الأول الموافق ليوم 12 أكتوبر 1990 . وصادف أن كانت الأشغال قد أنطلقت في المسجد لتوسيع شقه الغربي . وهذا نصّه :

نحمدك اللهم يا من خلقت الإنسان وعلمته البيان ، وأمرته أن يقوم بالقسط فأنزلت الكتاب والميزان . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد ، بلّغ الأمانة وأدى الرسالة على أكمل وجه ، بما أوتي من جوامع الكلم وهو القائل : «إن من البيان لسحراً» . اللهم صلّي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابه أجمعين . أما بعد :

فيا أيها الأخوة المومنون .. إننا ما نزال نعيش ذكرى ميلاد رسولنا الأعظم ﷺ ، ونحن نحاول أن نستجلي جوانب عظمته ، ونأخذ العبرة من سيرته الطاهرة ، ولا نمتلك إلا أن نقف وقفة إجلال وتقدير في لحظات تأملنا وانبهارنا بذلك الفيض الربّاني الذي غمرته به العناية الإلهية وهو يشق طريقه إلى النصر تلو النصر ، ويجلجل من خلاله صوت الوحي على مسمع الزمان ، يخترق الآفاق ويحطم الحواجز فتشرح له الصدور ، وتلين له القلوب ، وتسكن إليه النفوس الثائرة

والعواطف الجموحة وقد سحرها البيان ، وأسست قيادها آيات القرآن ، وهي لا تملك مهرباً عن سماعه : ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾⁽¹⁸⁾ . فكيف استطاع رسول الله أن ينجز مهمته الدعوية ، وأن يحقق لها تلك الاستجابة التلقائية في ذلك الظرف الزمني القصير ؟؟ .. قد نوعز ذلك إلى اليد الربانية الحانية ، وإلى المعونة العلوية القادرة . نعم .. إن ذلك لهو السبب المتين ، والوسيلة الغيبية اللطيفة ما في ذلك شك ؛ غير أن الرسول ما كان ملكا يسبح في العالم الروحاني ، ليس له في القيام بواجبه كسب ولا اختيار . بل هو كما علّمه ربه أن يقول : ﴿إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾⁽¹⁹⁾ .

فالبشرية بكل نوازعها وأعراضها هي المنظر المادي المشاهد في شخص رسول الله ، ليكون ذلك ادعى للتناسب والتوافق بينه وبين بني جنسه : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾⁽²⁰⁾ ثم هو يمتاز عنهم بتلك الهبة الربانية من روحانية الوحي وطهر النبوة . يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾⁽²¹⁾ فالطبيعة البشرية تقتضي منه أن يتحرك في إطار النواميس الكونية ، وأن يراعي سنن الله في خلقه : فيأخذ بوسائل التبليغ ، ويخاطب الناس بما يفهمون ، ويجادل خصومه

(18) سورة فصلت ، الآية 26

(19) سورة الكهف ، الآية 105

(20) سورة التوبة ، الآية 128 .

(21) سورة الأنعام ، الآية 8 - 9 .

بالتي هي أحسن ، ويأخذ بالعفو في معاملة أعدائه ، ويصابر ويرابط ،
 ثم يكافح ويجاهد عندما تدعو الضرورة إلى حماية الدعوة وضمان
 حركيتها وفعاليتها ، إلى غير ذلك مما حفلت به آيات القرآن الكريم ،
 من تفاصيل وبيانات لأخلاقية الدعوة في كل أطوارها ومراحلها .. وقد
 بات لازماً علينا - ونحن في غمرة الصحوة الإسلامية المباركة - أن
 نتأسي برسول الله في كل ما انتهجه من سبل ، وأخذ به من وسائل .
 وأبلغها أثراً - في نظرنا - لدى الجماعة الإسلامية الأولى من صحابة
 رسول الله هو المسجد النبوي الشريف بمحاربه ومنبره المجلّلين بأنوار
 النبوءة . ففي رحاب ذلك المسجد الذي بني على تقوى من الله
 ورضوان ، انعقدت أواصر المحبة والإخاء بين قلوب المؤمنين ، وفي قبة
 محرابه توحّدت وجهتهم ، وخلال عرصاته تراصّت صفوفهم ، ومن علياء
 منبره تحدّدت أهدافهم وارتسمت غايتهم ، ثم انتظمت على نهج الله
 مسيرتهم . ذلكم لأن النية الصادقة والإخلاص لله ، والسعي الدؤوب
 لابتغاء مرضاته ، ونبيل القصد في تحريك الجماعة إلى صالح الأعمال ،
 وتجميعها على مسلك التعاون على البرّ والتقوى في تحقيق الأهداف
 والآمال ، لهي الضمانات الإلهية لتحقيق النصر المبين ، وهي الأدوات
 المطلوبة في وعد الله للمؤمنين بالعزة والتمكين . وأيّما مسجد في
 الإسلام لم يقم بنيانه على هذا الأساس ، فهو لا يوقظ في ضمير الجماعة
 وعياً ، ولا ينشر في مسار حياتها هدياً . ولنستمع إلى قوله تعالى في
 هذا المعنى : ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين
 المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ،
 وليحلفن إن أردنا إلاّ الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون . لا
 تقم فيه أبداً لمسجد أسّس على التقوى من أول يوم أحق أن

تقوم فيه ، فيه رجال يحبّون أن يتطهّروا والله يحبّ المطهّرين ، أفمن أسّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسّس بنيانه على شفا جرف هار ، فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿ ٢٢ ﴾ . ولكم شاد الناس في العالم الإسلامي وغيره من مساجد ورفعوا من مآذن وزخرفوا من منابر ، وكم نمّقوا من خطب ومواعظ ؛ فلم يكن لها من أثر في نفوس الجماهير ، ولم تحدث في سلوكها وأخلاقها أيّ تغيير . لأنّه لم تعد للمسجد في أغلب النفوس تلك القدسية التي حباها الله بها ، ولم تعط لها تلك الحرمة والرفعة التي أذن الله بها ، وبالتالي لم تبق للمنبر تلك المهابة في نفوس السامعين ، إذ تحوّل المسجد إلى مصلحة من مصالح الموظفين ، وأصبحت المنابر مرتقى للانتفاعيين .. والمرترقين . وفي مثل ذلك الجوّ المضطرب بنوازع الأهواء ، والمناخ الموبوء بتصارع الآراء ، يفقد المسجد قدسيته الرّبّانية ، وتغور عن المنبر هالته الروحانية ، فتتعدّد المشارب وتشعّب المسالك لدى الجماعة المسلمة ، فلا يكون لها اعتصام بحبل الله ، ولا استمسك بعروته الوثقى . وتلك هي العاقبة الوخيمة التي آل إليها المسلمون ، ولا يزالون يتخبّطون في متاهاتها المظلمة . يقول أحد الدعاة المخلصين في هذا المعنى : «إن أمّتنا المسلمة هي ابنة المنبر منذ كانت . صاغها يوم كان يرتقبه محمد ﷺ ، لقد كان منبراً وحيداً ، ومع ذلك استطاع أن يرّبي جيلاً من البشر حملوا الرسالة إلى الآفاق ، وأقاموا الدين والدولة معاً . فكان أثر المنبر الواحد أعظم من تأثير مئات الألوف من المنابر ومئات الجامعات ، وآلاف المدارس والمعاهد التي تمتليء بها حوصلة عالمنّا الإسلامي الآن . فهذه المنابر كلها

ليست من ذلكم المنبر بسبب ولو أننا سبرنا غور هذه المأساة ، فسنجد أنه راجع إلى تعدّد نوعيات المنابر الحديثة وتفرّق دعائها . لقد كان المنبر على عهد رسول الله ﷺ واحداً ، يصدر بأمر واحد ، ويخاطب أمة واحدة كما أراد الله . أما الآن فقد تفرّق المسلمون شيعاً ، واتخذت كل شيعه لنفسها منبراً ، تمارس من فوقه فنون الدجل والشعوذة ، ومهمة تمزيق الأمة إلى أشلاء ممزّعة بعدد مُزَع الأهواء . لقد اختلفت رسالة المنبر على أصحابها ، وتناقض ما يدعون إليه ؛ وليس من الممكن إصلاح حال أمتنا إلا بالعودة إلى المنبر الواحد الذي يستخدم لغة واحدة ، ويصدر عن فكر واحد ، هو الفكر المحمّدي إن صحّ التعبير ، وحينئذ تسقط كل منابر الضرار ، منابر الريبة والتفريق»⁽²³⁾ أيها المؤمنون .. أصاب المحزّ هذا الداعية المسلم في تشخيص الداء ووصف الدواء . ويوم تصبح المساجد كلها لله ، لا يدعى فيها مع الله أحد ، فإن الله تعالى يكشف الغمة ، ويلهم الأمة الإسلامية سبل رشدّها ، ولعلّ رسول الله ﷺ كان يومئذ إلى هذا المعنى اللطيف ، عند ما قال في الحديث الشريف : «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة»⁽²⁴⁾ ومعلوم من التاريخ النبويّ أن الرسول وصحبيّه مدفونون في بيت عائشة (ض) فلا شك أن هذا التعبير التصويري يوضّح ما يجب أن يكون عليه الداعي من خلوص النية ونبيل القصد في نصرة الحق وإرادة الخير للأمة ، وهو يسعى بين مثواه ومصلّاه ، كمن يرتع في روضة من رياض الجنة . ولا يتحقق له ذلك إلا بالسعي في مرضاة الله ، كما كان يفعل رسول الله .

(23) د . فهمي هويني عن جريدة العقيدة .

(24) رواه البخاري .

فهل أن للمسلمين أن يتخذوا من مساجدهم ومنابرهم روضة من رياض الجنة ويرفعوا من شأنها كما أذن الله ، فتصبح بذلك منارات يصدع منها صوت الحق ، ويشيع نور الله للسالكين : ﴿ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾⁽²⁵⁾ وأنت مولانا ونعم النصير .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أذن لبيوته أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلّي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابه الغر الميامين . وبعد :
فيا أيها الأخوة المؤمنون .. أوصيكم ونفسي بتقوى الله وشكر نعمه ، واعلموا أن الله تبارك وتعالى قد منّ علينا بتوفيقه إذ جعلنا لا نحيد عن سنة نبيّه في رفع قواعد بيوت الله حيثما تواجدنا داخل البلاد وخارجها ، فلم نزخرفها ولم نشيّد لها لتفتن الناس ، ولم نتخذها وسائل للكسب والإرتزاق ؛ ونرجو من الله العليّ القدير أن يحفظ القائمين عليها من العجب والرياء والنفاق ، حتى تكون بحق روضة من رياض الجنّة في تطهير النفوس ، وتوعية الضمائر ، وتزكية المشاعر لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف .
فها نحن أولاء لا نذخر وسعاً في توسيع جناباتها وإتمام مرافقها وتعمير رحابها بالذكر والعبادة ، وإحياء منبرها

(25) سورة التحريم ، الآية 08 .

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فإياكم والتجافي عنها بارتياذكم
 لأماكن تنفق فيها سوق الشيطان ، وتعشيكم عن ذكر الرحمان . فقد
 حذرنا رسول الله من هذه الوضعية المزرية عند ما قال : « لا تقوم
 الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد ، وفي لفظ آخر قال : يأتي على
 الناس زمان يتباهون بالمساجد ولا يعمرونها إلا قليلاً » (26) فهل يتحسر
 أولئك الذين ضيعوا شطراً كبيراً من أعمارهم وهم لا يعرفون لأحد
 المساجد طريقاً ؟ ولا يصطحبون من عمّارها رفيقاً ؟ .. فليحذر
 هؤلاء أن يصبحوا في عداد من هدّهم الله بقوله : ﴿ ومن يعيش عن
 ذكر الرحمان نقيض له شيطاناً فهو له قرين ، وإنهم ليصدونهم
 عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ (27) جعلني الله وإياكم من
 عمّار مساجده وزوار بيوته ، والمستجيبين لدعوته ، والقائمين على
 عبادته وذكره . ﴿ ربّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربّنا
 وتقبل دعائي ، ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم
 الحساب ﴾ (28) .

(26) رواه خزيمة .

(27) سورة الزخرف ، الآية 36 - 37 .

(28) سورة إبراهيم ، الآية 40 - 41 .

هكذا يكون الشباب المحمّدي

أقام الشباب في بلدة العطف مهرجاناً كبيراً بمناسبة العيد العالمي للشباب ، وذلك ليلة الجمعة الخامس من شعبان 1405 هـ الموافق ليوم 26 أبريل 1985 م . وبهذه المناسبة رأيت أن أصحّح مفهوم عيد الشباب في أذهان ناشئتنا حتى لا يتسم بطابع التقليد الأعمى للأوروبيين . فألقيت هذا الخطاب على منبر المسجد .

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ، فوفقه إلى الخير وهداه إلى السبيل القويم ، إذ ميّزه بالعقل وبعث إليه الرسل ليسدّدوا خطاه على الصراط المستقيم . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وهو رب العرش العظيم . ونصلي ونسلم على سيدنا محمد زين الشباب ودرّة الأصحاب . أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وأفاض عليه من كرمه وفضله فقال : ﴿وإن لك لأجراً غير ممنون ، وإنك لعلی خلق عظیم﴾ (29) وعلى آله وأصحابه الذين سخرّوا قوتهم وشبابهم وكل ما يملكون في سبيل عقيدتهم ونشرها في العالمين ، فغيّروا وجه الدنيا وخلّدوا مآثرهم إلى يوم الدين . أما بعد : فيا أيها الأخوة المومنون : ها نحن أولاء نقف أمام ربّ العالمين ، منيبين إليه مستعطفين ضارعين ، وقد تجلّت فينا قدرته البالغة وحكمته النافذة في أطوار خلقتنا ، فكان منا الأطفال والشباب والكهول والشيخوخ . كما قال جلّ من قائل : ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم

(29) سورة القلم ، الآية 03 - 04 .

يخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ثم لتكونوا شيوخاً . ومنكم من يتوفى من قبل ، ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون ﴿ (30) وقال : ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة ، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير﴾ (31) لقد لخصت هذه الآيات الكريمات مراحل حياة الإنسان إذا ما استكمل أجله ، فنلاحظ أن الله تعالى أختصر مراحل الحياة إلى ثلاثة أطوار : الطفولة ، فالشباب ، فالشيخوخة . ووصف المرحلتين الأولى والثالثة بالضعف ، كما وصف طور الشباب بالقوة وبلوغ الأشد . فلندع الأطفال يلعبون ويمرحون ، مقبلين على الدنيا إقبال البراعم في الربيع تنشر الأريج وتتهياً للإثمار ، ولنردّد مع الشيوخ أهّات الأمانى الضائعة والذكريات الماضية :

ألا ليت الشباب يعود يوماً

فأخبره بما فعل المشيب

ولنتقف مع الشباب لحظة لنأخذ بيده لعلّ القوة تطفيه ، وفسحة الأمل تغويه ، مُرددين مع الشاعر هذا النداء (32)

يا شباب العالم المحمّدي ينقص الكون شباب مهتدي
فأروه دينكم ليهتدي دين عقل وضمير ويهد
فما رأيكم يا شباب الأمة ؟؟ وهذا مولاكم العزيز القدير
يمتنّ عليكم بما حباكم به من القوة والقدرة ، ويضعكم في مكان
المسؤولية والأمانة لينظر كيف تعملون . فهل أنتم واعون لهذه

(30) سورة نازع ، الآية 67 .

(31) سورة الروم ، الآية 54 .

(32) هو الأستاذ مصطفى صادق الرافعي .

المسؤولية حتى تسخروا قواكم لتحقيق أهدافها ، أم أنتم ساهون عن ذلكم اليوم الذي تسألون فيه عن شيابكم فيم أفنيتموه ؟؟ .. إن أمتكم الإسلامية تمرّ اليوم بأدق مراحل تطوُّرها ، تهدّدها الأخطار ، ويتربّص بها الأشرار : أخطار الإباحية والفساد ، جرياً وراء المتاع العاجل ، في عالم استنسرفيه البغاث واستفحل الشرّ والباطل . إن الأمم لا تنهض إلاّ على أكتاف أبنائها الأقوياء ، الذين تتأجّج قلوبهم بالجرأة والإقدام ، ويؤمنون بقضية أوطانهم إيمانهم بالله ورسوله ، فلا يحاولون أن يفصلوا قضية الوطن عن المعتقد الذي اختاروه لأنفسهم منهجاً لحياتهم وسلوكهم ، فيخطئون في التقدير ، كما أخطأ من قبل فريق أعماهم التقليد ، فوقعوا في شرك الحركات الهدّامة التي حاكت خيوطها الصهيونية العالمية .

أيها الشباب المسلم .. لقد كان لكم في رسول الله وأصحابه إسوة حسنة . وهل كان أصحاب رسول الله إلاّ شباباً يسارعون في الخيرات ، ويتسابقون في رضى الله ومحبة رسوله ، حتى هانت عليهم نفوسهم وصغرت الدنيا أمام أعينهم ، فكانوا حقاً كما وصفهم الله تعالى : ﴿وَكُفَى بِاللّهِ شَهِيداً مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَرِاءِ رَحْماءُ بَيْنَهُمْ﴾⁽³³⁾ . فلينظر كل واحد منكم مدى ما حققه من هذا الوصف في نفسه ومع أصحابه ، فهو - لعمري - المعيار الحق لكل مكربة ترتجي من الشباب في فترة نحاول فيها بناء أمتنا الإسلامية على الأسس التي ارتضاها الله ورسوله وأمرنا بالتزامها حين قال : ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

(33) سورة التّح ، الآية 29 .

فتفرّق بكم عن سبيله» (34) وفي تأملنا للتعبير القرآني في تحديد مواقع الشدة والرحمة ، ما يغنيا عن كل فلسفة دخيلة نقتبسها لمنهجية سلوكنا . فإن الله تعالى لم يقابل الشدة مع الكفار بالضعف مع الأصحاب ؛ بل قابلهما بالرحمة ، لأن كلمة الضعف لا تتناسب مع الشباب المتسم بالقوة والشدة في الوضعية المرحلية من عمره ، بل هي الرحمة التي ترشح بمعاني النبل والكرم والتواضع للصاحب في كل الحالات حباً في الله وتكريماً للعقيدة . يقول سيد قطب - رحمه الله - في تفسير هذه الآيات : «يسجل لهم في هذه اللقطة أنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم . أشداء على الكفار وفيهم آبائهم وإخوتهم وذوو قراباتهم وصحابتهم ، ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعاً ، رحماء بينهم ، وهم فقط إخوة دين . فهي الشدة لله ، والرحمة لله ، وهي الحمية للعقيدة ، والسماحة للعقيدة ، فليس لهم في أنفسهم شيء ، ولا لأنفسهم فيهم شيء . وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها ؛ يشتدّون على أعدائهم فيها ، ويلينون لآخوتهم فيها . قد تجرّدوا من الأنانية والهوس ، ومن الانفعال لغير الله ، والوشيجة التي تربطهم بالله . ويقول : وهكذا يثبت الله في كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة صحابة لرسول الله ﷺ فتبثت في صلب الوجود كله ، وتتجاوب أرجاؤه ، وهو يستمع إليها من باري الوجود ، وتبقى نموذجاً للأجيال ، تحاول أن تحققها لتحقيق معنى الإيمان في أعلى الدرجات» (35) . هذا هو الوصف الإلهي لشباب محمد وأصحابه الأطهار . وما وصف رسول الله لأصحابه عنه بعيد . وهي كلها

(34) سورة الأنعام ، الآية 153 .

(35) ظلال القرآن ، ج 26 ، ص 118 .

أوصاف تدعو للفضيلة ، وتدين الرذيلة . جماع أمرها تقوى الله وخشيته ، حتى عدّ من الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله . ذلكم الشاب الذي نشأ في عبادة الله (36) .

فيا معشر شباب الأمة ويا مناط آمالها .. لقد أنعم الله عليكم بما لا مزيد عليه من النعم الكثيرة الضافية ، وما يزال فيض نعمه يتدفق عليكم ويغمركم فهل أنتم شاكرون ؟؟ .. إن هذا الوطن المفدى يترقب منكم التضحيات الجسام والمجهودات الغوالي فهل أنتم فاعلون ؟؟ .. إننا نربأ بكم أن تكونوا من الخوائف المتقاعسين ، أو الإمعات المترددين . فإن الله تعالى محاسبكم على هذه النعم فلا تكونن من المخذولين .

أيها الأولياء ، آباء وأمّهات ، أيها المشرفون على توجيه ناشئة البلاد . لقد بلغتكم وصية لقمان لابنه في القرآن الكريم فاتقوا الله في شباب الأمة ، وليكن كل منكم لقمان بيته ، يحمل ولده على القضائل إيماناً وقولاً وعملاً . وفقكم الله إلى الخير والرشاد ، وألهمكم التوفيق والسداد .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق الإنسان وصوره فأحسن تصويره ، وأمدّه بنور العقل والإيمان ليقرّر بيده مصيره ، ونصّلي ونسّلي على سيدنا محمد .

(36) تقدم راوي الحديث .

فكّ هذا الإنسان من قيوده وحقق تحريره . صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه الذين ضحوا بأموالهم وأنفسهم فنشروا هدايته وأتموا نوره . أما
بعد :

فيا شباب محمد .. إن مجدكم التليد لم تستقرّ دعائمه إلا بتضحيات
جسام ، وإن هذه المنزلة الكريمة التي تتبأون مراتبها لم ترتفع إلا
على أشلاء أسلافكم الأمجاد الذين حفظ لهم التاريخ ذكراً عطراً وصيتاً
ذائعاً محموداً . فقد كانوا - رحمهم الله - منذ انطلاقتهم في صدر
الإسلام ، مثالاً للتضحية والفدا ، يتقدون غيرة وحماساً لدين الله ،
ويشرون بأنفسهم الجنة ابتغاء مرضاة الله ، على تعسف في الحكم وجور
من السلطان . فماذلوا وما استكانوا ولا وهنوا لما أصابهم في سبيل
الله .

فهذا أحد أولئك الأبطال الأماجد ، وقد حرّر الحرمين الشريفين
من تعسف الظالمين وغبث الباغين . أبو حمزة الشاري المختار بن
عوف ، عندما دخل مكة بأصحابه ، فشام من أهلها تعبيراً واستصغاراً .
فصعد المنبر متوكئاً على قوسه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

يا أهل مكة .. تعيرونني بأصحابي ، تزعمون أنهم شباب ، وهل
كان أصحاب رسول الله إلا شباباً ؟؟ .. نعم ! شباب والله مكتهلون في
شبابهم ، عمية عن الشر أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجلهم . قد نظر الله
إليهم في إثناء الليل متشنية أصلابهم بمشاني القرآن . إذا مرّ أحدهم بآية
فيها ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا مرّ بآية فيها ذكر النار شق
كأن زفير جهنم في أذنيه . فقد وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم ،
أنضاء عبادة ، قد أكلت الأرض جباههم وأيديهم وركبهم ، مصفرة
ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام ، مستقلون لذلك

في جنب الله ، موقفون بعهد الله ، منجزون لوعده الله ، حتى إذا رأوا سهام العدو قد فوقت ، ورماحهم قد أشرعت ، وسيوفهم قد انتضيت ، وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت ، استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله . فمضى الشاب منهم قدما حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه ، قد زملت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر جبينه بالثرى ، وأسرع إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء . فكم من مقلّة في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله ! .. وكم من كفّ بانة عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في سجوده ! .. وكم من خدّ عتيق ، وجبين رقيق قد فلق بعهد الحديد ! .. رحمة الله على تلك الأبدان ؛ وأدخل أرواحها في الجنان .. إلخ» (37) .

أيها الشباب المسلم : هذا نموذج من نماذج أسلافكم الأولين ، قد أحسن تشخيصه هذا القائد المغوار ، فهل أنتم على شاكلتهم تعملون ؟ وعلى آثارهم مقتدون ؟ فليزن كل منكم نفسه على هذه المعايير التي ذكرها ؛ فهي - لعمرى - المعايير المحمّدية التي ضبطها ربّ العالمين ، وقدم لنا منها نماذج في كتابه المبين . فاتقوا الله أيها الشباب وارفعوا إلى مستوى توجيهات دينكم ، وثوبوا إلى رشدكم ، واعلموا أن الله شديد المحال . حفظكم الله من عواقب الخذلان ، ودسائس الشيطان ، وأبقاكم ذخراً للدين وفخراً للأوطان .

(37) هو أبو حمزة المختار بن عوف وهو من الشراة الإباضية أحد أصحاب عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق الذي ظهر أمره في اليمن وحضرموت ضدّ بني أمية . بعثه عبد الله إلى الحجاز فدخل المدينة منتصراً سنة 130 هـ وخطب على منبر المسجد النبوي خطبة المشهورة . أنظر قصته في العقود الغضبية في أصول الإباضية ، ص 187 إلى 210 .

كيف تكون محبة رسول الله

الحمد لله على عباده الذين اصطفى ، هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين وألّف بينها بالحبّ والصفاء ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، وسعت رحمته كل شيء وهو خير الراحمين . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، خاتم النبيين والرحمة المهداة للعالمين . صلى الله عليه وعلى آله وحسابته أجمعين .
أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون : ها هي ذي ذكرى ميلاد رسولنا يكاد ينبهت طيفها ليختفي في أغوار الزمان ، بعدما عشنا ليااليها في نشاط وإقبال ، تنفّس في إظهار الزينة ونفق الأموال ، ونردّد المدائح ونتمق الأحاديث والأقوال ، احتفاء بهذا المولود المبارك الذي استبشرت به الكائنات ، وسبّحت بحمد ربها الأرض والسماوات . وخلق بكل أمة أن تحتفل بأمجاد عظمائها وتشيد بمآثرهم ، وتقيم لذكورهم معالم تخلّد لهم في ذاكرة الأجيال ، وتتحين الفرص والمناسبات لتستجلى من سيرتهم كل حميد من الأخلاق وكريم الخصال . فإن ذلك هو القدر الأدنى من العرفان بالجميل والاعتراف بالفضل لذويه . فهل احتفالنا بمولد رسول الله ﷺ أن نكتفي بهذا الحدّ لنكون قد وفينا بعض حقه علينا واعترفنا بما له علينا من فضل ؟؟ .. إننا لو أنصفنا أنفسنا وأمعنا النظر في واقع الأمة الإسلامية لوجدنا أننا ما نزال دون المستوى المطلوب في ما يجب علينا من الاستفادة بهذه الذكريات ، وتوظيف إحياءاتها في إصلاح حاضرتنا ، وتسخير عبرها في تغيير الكثير من أوضاعنا . لكن

الأمة عندما يتبلّد حسّها أمام الضربات ، وتنخذل أمام التحديات ، تمرّ عليها تلك الذكريات كما تمرّ الصور في ذهن السكران مشوّهة الحقائق مقلوبة الأوضاع . وعلى قدر إيمانها في الغفلة والذهول تنتكّب عن الحياة السويّة ، ويخطئها الرأي السديد والسلوك القويم . يقول المولى تبارك وتعالى في مثل هذه الحالة المزريّة التي يمكن أن تتردّى إليها الجماعات البشريّة . يقول : ﴿فكأَيّن من قرية أهلكناها وهي ظالمة ، فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ، أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ؟ فإنّها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (38) ، فلا عجب أن نجد في أمّتنا الإسلاميّة كثيراً من الأفراد والجماعات يغالون في تقديس بعض الشخصيات ، سواء أصابت أم أخطأت . بل يذهب التقليد الأعمى في البعض منهم إلى تعظيم شخصيات لا تنتمي إليهم بسبب ، وإحياء ذكريات ليس لها صلة بماضيهم . فما أكثر الأيام التي يحتفي بها اليوم ، وليس لنا في وضع أسائها رأي ولا تفكير ، ولا في تحديد أهدافها حظ ولا تقدير ، بل لا نملك من عائداتها شروى نكير . فما هو حظ المولد النبويّ الشريف من ذلك كله في الأمة الإسلاميّة ؟؟ .. فإذا كان المسيحي واليهوديّ والبوذي وحتى الشيوعي الملحد يتخذ من مناسبة أعياده الدينيّة والوطنية أغلى فرصة لتنمية الحسّ الديني والوطني ، وغرس المحبّة والتقديس لتلك الشخصيات التي كانت السبب في وجود ذلك الحدث العظيم في تاريخ تلك الأمم ، أفلا يجدر بنا - نحن المسلمين - أن نعطي لميلاد

(38) سورة الحج ، الآية 45 - 46 .

رسولنا ولكل مواقفه التاريخية كل ما نملكه من تقدير وإعزاز ،
ونسخر لها من الوسائل العصرية في مجالات الإشهار والإعلام كل ما
يمكن أن نغرس به في نفوس ناشئتنا ذلكم الحب المكين لرسول الله
وتقديس رسالته ، وهي الكلمة الربانية الأخيرة الفاصلة في شؤون
الخلق ونظام الحياة ؟؟

فوا عجباً لأهل الباطل كيف يتناولون ، إذ يجدّون ويعملون وأهل
الحق في غفلتهم ساهون ؟ .. يقول الشيخ محمد الغزالي : «الاحتفال
بميلاد محمد ﷺ ليس كإحتفال بميلاد أيّ إنسان آخر . ذلك أن
عشرات العظماء الذين نحى ذكراهم ونمجد سيرتهم ، هم أناس لمعت
في التاريخ أسماؤهم ، وتركوا بيننا ما يشهد بعقريتهم ويدلّ على
مواهبهم فنحن نشيد بما يستحق الإشادة من أخلاقهم وأعمالهم . أما
محمد صاحب الرسالة العامة ، والإنسان الذي اختاره الله رحمة للعالمين
فله شأن آخر ينفرد به .

إنه القائد الروحي والفكري لمواكب الأحياء ما بقي الليل والنهار ،
وسيرته قدوة ترمقها بصائر المؤمنين في كل وقت ، وتستمدّ منها
طهارة القلب من الإثم ، وطهارة العقل من الخرافة . واسم محمد لا
يذكر مرة في كل سنة عندما يحتفل بميلاده ، كلا فهو يذكر في كل
أذان وفي كل صلاة» (39) .

أجل : أيها المومنون . إن اسم محمد رسول الله قد دوّت به
الكائنات ، وتجاوبت معه حقائق الوجود ، وشهد بجلال قدره وصدق
رسالته الربّ المعبود . فلا تنعقد وثيقة الإيمان عند المسلم إلا بالإقرار
بالشهادتين : أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . ومن ثم لا

(39) الشيخ محمد الغزالي من كتابه : «ركائز الإيمان» ، ص 273 .

نعجب لذلك التلاحم المتين الذي جاءت به آيات الله من الإشادة بالرسول ووجوب طاعته ومحبته ، واعتبار ذلك من محبة الله وطاعته ، فتحقق بذلك التجاوب الروحي والتلاحم الوجداني بين رسول الله وصحابته الذين أختاروهم الله قدوة حسنة للأمة من بعدهم . وذلك في مثل قوله تعالى :

أ - ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (40)

ب - ﴿ مَنْ يَطْعِ الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (41)

ج - ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرُّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (42)

ومن جهة أخرى رسمت آيات الله ذلك الإطار من الأدب الرفيع الذي يمنح للنبوة هيبتها ، ويضمن لها قدسيتها وجلالها ، فحرمت على المؤمنين كل ما من شأنه أن يتأذى به رسول الله حتى في أيسر معاملة وأبسط احتكاك من النداء والحديث ، كما ورد في سورة الحجرات إذ يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (43) .

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ في قمة ذلك الحب المكين لله ولرسوله ، وقد ضربوا أروع الأمثال في ذلك حتى شهد لهم الله ورسوله

(40) سورة آل عمران ، الآية 31 .

(41) سورة النساء ، الآية 80 .

(42) سورة الأنفال ، الآية 24 .

(43) سورة الحجرات ، الآية 02 - 03 .

بالصدق والوفاء ، وجباهم الله بالقبول والرضى . فقال جلّ من قائل : ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾⁽⁴⁴⁾ وقال في سورة الحشر : ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون ، والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾⁽⁴⁵⁾ ، فقد روى أبو إسحاق خبر المرأة الأنصارية التي قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد فأخبروها بذلك فقالت : «ما فعل رسول الله ؟ قالوا : بحمد الله هو كما تحبين . قالت أرونيه حتى أنظره . فلما رأيته قالت : كل مصيبة بعدك صغيرة . وفي قصة أخرى يقول : لما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه . قال : له أبو سفيان بن حرب : أنشدك الله أبا زيد . تحب أن محمداً الآن مكانك تضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ فقال زيد : والله ما أحب أن محمداً مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإنني جالس في أهلي . فقال أبو سفيان : ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد ، محمداً»⁽⁴⁶⁾ ، وكيف يبلال (ض) وهو في النزع الأخير يقول : «واطرباه ! غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه» . فلا عجب أن يقول رسول الله فيهم : «والله لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ

(44) سورة الأحزاب ، الآية 23 .

(45) سورة الحشر ، الآية 08 - 09 .

(46) سيرة ابن هشام .

أحدهم ولا نصيفه» (47). تلکم أيها المؤمنون نماذج في القمة من الحب الإلهي المكين ، والأخوة الإيمانية ، تتمثل في هؤلاء الأبرار الذين قرّت أعينهم بصحبة رسول الله ﷺ ، وأشربت قلوبهم محبته ، فضحّوا بكل ما يملكون ، وهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وأولادهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . فجباهم الله من حلاوة الإيمان ولذة الصحبة منزلة لا تداني قدراً ولا شأناً . ولئن كان مرتقاها صعباً للذين جاؤوا من بعدهم ، فإن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً وهو القائل : ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ (48) .

وقد صحّ عنه ﷺ قوله : «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» .

فيا أمة الإسلام .. هكذا كان محمد وأصحابه . أشداء على الكفار رحماء بينهم . فكانت منهم تلك الانطلاقة الإنسانية العملاقة تحدوها آيات الله ، وتوقع على خطوها سنة رسول الله . ولم تخل أيام العزّ والتمكين للمسلمين من شخصيات أو جماعات أخذت بهذا الزاد الروحيّ الفعّال لتواصل مسيرة دين الله وتطبيق أحكام كتابه في شؤون الحياة كما أراد لها خالقها . بيد أن مفاتن الدنيا ومصائبها تركت من بعدهم خلفاً أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فغار في قلوبهم ذلك الحب الإلهي وانطفأت جذوته في تيه الضلالات . ألا فليختبر كلّ منا مقادير هذه الطاقة الإلهية في قلبه ووجدانه قبل أن تنطوي الصحف وتجفّ

(47) سيرة ابن هشام .

(48) سورة النساء ، الآية 69 .

الأقلام . ولنستمع إلى هذا التحذير الإلهي للمؤمنين إذ يقول :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ
بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، أَعِزَّةٌ عَلَى
الْكَافِرِينَ . يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ .
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (49) أقول
قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين .

الخطبة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على
الظالمين ، ونصلي ونسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد
وعلى آله وصحابه والتابعين . وبعد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون : أوصيكم ونفسي بتقوى الله والإخلاص له
في السرّ والعلانية ، فهو الهادي إلى صراط مستقيم ، وعسى الله أن
ينفعنا بما نستمع إليه من الإرشاد والتوجيه .

يقول الشيخ محمد الغزالي : « فلا غرابة إذا انطوت القلوب على
حبّ محمد ، حبّا لم يعرف مثله لبشر آخر الدهر . والحق إن محبة
رسول الله ركن في الإيمان وآية على صدقه . كلما ازداد هذا الحبّ
عمقاً ، وازداد شعاعه تألقاً اقترب المسلم من مرضاة الله واستكثر من
طاعته » (50) .

(49) سورة المائدة ، الآية 54 .

(50) كتاب : « ركائز الإيمان » ، ص 284 .

أجل ! .. أيها المؤمنون . فليس آيات هذا الحبّ أن ننمّق الخطب والمدائح في مولده ﷺ ولا أن نقتصر على الصلاة عليه إذا ذكر اسمه ، فإن ذلك هو أضعف الإيمان . وإنما يظهر ذلك في اجتهاد المسلم لابتغاء مرضاة الله ، والاستكثار من طاعته ، فينصر دينه ويتخلّق بأخلاقه في كل ما أثر عنه من الصبر والحلم والتواضع والكرم ، والشجاعة والرأفة والرحمة ، وأن يعظّمه في نفسه تعظيماً يليق بمقامه الشريف دونما غلوّ في إضفاء الخصائص الألوهية عليه كما قال الإمام البوصري - رحمه الله -

دع ما ادّعتة النصارى في نبئهم

واحكم بما شيئت مدحاً فيه واحتكم
ثم نكفّ ألسنتنا عن أصحابه في ما لا يليق بمقامهم وأفضليتهم سيما
في ما شجر بينهم من الأقوال والأفعال . وملاك ذلك كله أن نحبّ القرآن الكريم ونقدّسه ونخشع لسماعه ، ونتجاوب مع إرشاداته وتوجيهاته . فهو تراث الرسول ، وعروة الله الوثقى وحبله المتين . ثم نصدّق بكل ما ثبت عنه من السنة النبوية المطهّرة ، فلا نحيد عنها ابتداءً ، ولا نبغي في تناول أحكامها تعصّباً ولا صراعاً . ذلك ما وصّانا به رسول الله في موقفه العظيم بحجة الوداع إذ قال : «تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا أبداً : كتاب الله وسنتي» . هداية الله وإياكم إلى محبة الله ورضاه ، وجعلني وإياكم من محبّي رسول الله قولاً وعملاً وصدقاً ووفاء . ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾ (51) والحمد لله ربّ العالمين .

(51) سورة آل عمران ، الآية 08 .

لا حلّ لقضية فلسطين إلاّ بالرجوع إلى الحق المبين

الحمد لله ذي العزة والجلال ، يعزّ من اعتزّ به ويؤيّد بنصره من يشاء ، وهو شديد المحال . نسأله الهداية والتوفيق ، ونستعيذ به من شرور الكفر والضلال . ونشهد أن لا إله إلاّ هو وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، رمز التضحية والنضال ، ومثال الصبر والثبات في مواطن البأس بالقراع والنزال ، واللهم صلّي وسلم وبارك عليه وعلى الأصحاب والآل . أما بعد :

فيا أمة الرسول الكريم . لا يغيب عن أذهاننا بأن الخصومة بين الأمة الإسلامية ، وبين أعدائها من مختلف الأجناس والأنظمة والأديان ، كما كانت في الماضي القريب والبعيد ، فستظل أبدية ، وإن تجددت أشكالها واختلفت أساليبها . يثيرها أعداؤنا بين حين وآخر ، وهم في كل ذلك متعاونون ، يخططون عن علم ، ويعملون على بصيرة ودراية بما تعانيه مجتمعاتنا من نقائص وما تواجهه من مشاكل . ولذا نجد القرآن الكريم في كثير من توجيهاته الكريمة ينبه المسلمين إلى مكامن الخطر ، و يتعهدهم بالتوعية واليقظة حتى لا يؤخذوا على غرّة ، ولا يركنوا للدعة والأمن . فيقول المولى تبارك وتعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا ، حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾⁽¹⁾ ويقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنْ

(1) سورة البقرة ، الآية 109 .

الذين أوتوا الكتاب يردّوكم بعد إيمانكم كافرين﴿⁽²⁾﴾ ويقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردّوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾⁽³⁾﴾ بل إن القرآن الكريم لم يغفل حتى الجانب الدبلوماسي الذي قد يصبح ألعبه مأكرة ، تسخرها مختلف القوى العالمية ، لتسرّب من منافذها إلى إحكام خطتها في التآمر والدسّ والمكر والخداع . فقال جلّ من قائل : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا إما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينّا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾⁽⁴⁾﴾ ولا شك أن القضية الفلسطينية هي من أهم القضايا المصيرية التي تواجه الأمة الإسلامية ، بما آلت إليه من تطوّرات خطيرة ومضاعفات معقدة ، أصبحت تهدّد كيان الأمة وتمسّها في أغلى مقدساتها ، وهي تواجه في ذلك أخطر خصم وألدّ عدوّ من الصهاينة وأشياعهم ، وبين أيديهم كل القوى العالمية ، يسخّرونها كيف يشاؤون . والله تعالى يبصّرنا بهذه الحقيقة ، فيقول : ﴿لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾⁽⁵⁾﴾ ويقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولّهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾⁽⁶⁾﴾ ويقول : ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلّا ولا ذمة ، يرضونكم

(2) سورة آل عمران ، الآية 100 و 149 .

(3) سورة آل عمران ، الآية 100 و 149 .

(4) سورة آل عمران ، الآية 118 .

(5) سورة المائدة ، الآية 82 و 51 .

(6) سورة المائدة ، الآية 82 و 51 .

بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون ﴿٧﴾ وصدق الله العظيم . وهل بعد هذه التحذيرات الإلاهية من مطمع في إذعان اليهود للإنصاف والعدل والرحمة والوفاء بالعهود ؟ فقد دلت الأحداث الدامية في مشرقنا العربي ، كما دلت الحروب المتوالية منذ الأربعينات أن لا مخرج من هذا الوضع الشائن ولا شفاء لهذا الكلم العظيم إلا بما وضحه العليم الخبير ، من إعداد العدة ، ووحدة الصف ، ورفع لواء الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا . ولا يتأتى لنا ذلك إلا إذا انطلقنا من منطلق الإسلام عقيدة وشرعية ، كما انطلقت الجيوش الإسلامية المظفرة في عهد الفاروق (ض) وتحت قيادة صلاح الدين الأيوبي (ض) . ويوم يصحح المسلمون مسارهم في منهجهم التاريخي ، وينسجمون مع أصالتهم في خط الوسطية التي وضعهم الله فيها بين الشعوب والأمم ، وبين مختلف الاتجاهات والنظم ، فسوف يبذل الله من ذلهم عزاً ، ومن ضعفهم قوة ، ومن أشتاتهم تماسكاً وتضامناً . ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ (٨) .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين . وبعد : فيا أمة الإسلام .. إن بلادنا بما بذلته من

(٧) سورة التوبة ، الآية ٥٨ .

(٨) سورة الحج ، الآية ٤٠ .

تضحيات لاسترداد كرامتها ، وما مارسته من تجربة في ميدان الجهاد والبطولات لهي أولى من يحسن أوجاع المنكوبين ، ويتألم لأنين المستضعفين . وإيماناً منها بأن الحرية تؤخذ ولا تعطى ، وأن إرادة الشعوب من إرادة الله ، نجدها واضحة في مواقفها إزاء كل القضايا التحريرية في العالم ، بالأخص القضية الفلسطينية التي أعتبرتها دائماً في صميم قضاياها الكبرى ولذا فهي تحتضن في هذه الأيام المجلس الوطني السابع عشر لمنظمة التحرير الفلسطينية ، موفرة لنجاحه كل الإمكانيات التي تضمن له المناخ الملائم لكي يخرج بقرارات حاسمة وتوصيات إيجابية تعطي للكفاح البطولي في الإنتفاضة المباركة دفعاً قوياً يضمد الجراح ويسوي الصفوف ويبعث الأمل ، لأن عصر اليقظة التي تعيشه الشعوب العربية والإسلامية بجماهيرها المؤمنة المجاهدة ، سوف يشهد - إن طوعاً أو كرها - المعارك الفاصلة بين الإسلام وأعدائه . ورجاؤنا في الله وطيد أن يلهم القادة والجماهير الإسلامية الرشد والساد ، والحكمة وبعد النظر في خوض هذه المعارك تحت لواء الإسلام وتوجيهاته الرشيدة ، بكل ما تعدو إليه من تضحية وفداء ، ومن قوة وإعداد ، ومن تنسيق وتخطيط ، حتى تتخلص من كل ما تعانيه من تمزق وتخلف ؛ وتتيح لها الانطلاق إلى حياة المجد والشرف التي كانت لها يوم أن كان المسلم يستجيب لله ورسوله إذا دعاه . وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه رضاه ، وهدانا سبل رشدنا إنه مولانا ونعم النصير .

واقع مجتمعنا أمام التحديات

أصبح مجتمعنا الميزابي كغيره من المجتمعات في بلادنا يعاني كثيراً من التحديات في داخله ومن خارجه منذ أوائل التسعينات وأخطرها - في نظرنا - هي تلك التي وجدت من مفهوم «الديمقراطية» بمعناها الغربيّ سنداَ للانقلابات من قيود المجتمع وضوابطه ، بدعوى حرية الفكر والتعبير ، وحرية الإنتماء وغيرها . فلا عجب أن تترك هذه الظاهرة الجديدة شروخاً خطيرة في البنية الاجتماعية يصعب على الأولياء والمسؤولين تداركها والحدّ من سلباتها . فكان هذا الخطاب بمثابة قرع لناقوس الخطر ، ودعوة مخلصه للمواطنين حتى يأخذوا بالحيطة والحذر .

الحمد لله الذي وضع لحياة خلقه سنناً لا نجد لها تبديلاً ، وشرع لهم من أحكامه ما يستقيمون به على الطريقة ويهتدون به سبيلاً . فطوبى لمن دان لخالقه وتبتل إليه تبتلاً . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أنعم به هادياً وأكرم به رسولاً . أما بعد : .. فيا أيها الأخوة المؤمنون ..

إن لله في خلقه شؤوناً يبلوهم بالشرّ والخير فتنة وهم لا يتذكرون وتتوالى عليهم النذر ولا يكادون يرجعون . ذلك لأن النفس البشرية مفتونة بالشهوات العاجلة ، مشدودة إلى رغباتها الملحة ، في ضعف الوازع الإيماني وخفوت الهاجس الوجداني . إن في أمرنا وأمر المسلمين عجب في هذه الفترة العصيبة من تاريخنا . فقد أناخ الدهر بكلّ كفه على من سبقونا من الأجيال ، وآلحت عليهم المصائب بما

كسبت أيديهم فحق عليهم القول وزحزحوا عن مكان الصدارة ؛ إذ تداعت عليهم الأمم وهم في حالة من الغنائية أفقدتهم عزّتهم ، وسلبتهم كل ميزة للسؤدد والفخار . يقول أحد الدعاة النبهاء في تلك الظاهرة التاريخية المؤسفة : «أنا لا أعتبر التتار هم مسقطو الخلافة في بغداد ، إن الخلافة أسقطتها من قبل قصور مترعة بالإثم ، متخمة بالملذات الحرام ... أنا لا أعدّ الصليبيين هم مسقطو دولتنا في الأندلس ، إن المترفين الناعمين هم الذين أنزلوا راية الإسلام عن تلك الربوع الخضرة ؛ إن ملوك الطوائف من الأندلس لم يكونوا أبناء شرعيين لطارق بن زياد ، ولا لغيره من الأبطال الذين باعوا لله أنفسهم فأورثهم الأرضين . إننا نحن قبل غيرنا العقبة الأولى أمام دين عظيم . إن التحديّ الأول يجيء من داخل أرضنا ، ثم تجيء من بعده تحديات الأعداء التقليديين⁽⁹⁾ ، نعم ! .. إن التحديّ الأول يجيء من داخل أرضنا ، فلا جرم أن المفكرين الواعين في هذه الأمة ، والمخلصين في استبقاء عزّتها وصيانة مقوماتها ، يدركون تلك التحديات ويقدّرون أخطارها على كيائها الداخليّ . ولذا فهم يفكرون ليل نهار كيف يواجهون هذه الأوضاع بحكمة وأناة ، وكيف يزجون سفين المجتمع في بحر لجيّ تغشاه أطباق من الظلمات . وليست هذه المنطقة المباركة بمعزل عن تلك التحديات . وهي ما تزال إلى عهد قريب مأرّزاً للإسلام الصحيح النقي الطاهر ، أسست بنيانها على مبادئه وأحكامه من أول يوم ، وعصّت عليه بالنواجز يوم أن عصفت به رياح الفتن ، وأخذت من أطراف رقعته توالي النكبات والمحن . ومع العزلة والتشرد والمطاردة ، لم يكن أسلافنا - رحمهم الله - يركنون إلى حياة الراحة

(9) الشيخ محمد الغزالي ، من كتابه : «دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين» ، ص 15 .

والدعة ، ولم يساوموا أحداً في دينهم وعزّتهم وشرفهم . بل استفزّهم في تلك الظروف القاسية نداء الله للمستضعفين في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾⁽¹⁰⁾ وهكذا أدركتهم الطاف الله ، إذ وجدوا في هذه الرقعة النائية من وطننا المفدّى ملجأً ومستقراً . ولم يعوزهم على قلة العدد وافتقار النصير ، ذلك الإيمان الراسخ بما هم عليه من الحق ، وتلك العزيمة الصادقة في المحافظة على كياناتهم ومقومات شخصيتهم ، وهم يسكنون من ذريّتهم بواد غير ذي زرع ؛ حتى تركوا لنا هذا التراث الخالد الذي ينمّ عن حضارة عميقة الجذور ، وأصالة محكمة البناء راسخة العماد .

هذا التراث الذي أخذنا نضيّعه سفاهةً وحمقاً ، بينما غيرنا من الزوّار مأخوذ بخصائصه ، شغوف بمعرفة أصوله ومبادئه ، وتقاليده وأعرافه . يرى فيه خير نموذج للمجتمعات المتماسكة المتينة ، ويودّ لو يطبق أن يتبنّاه منهج حياة للحلّ الإسلامي المنشود .

أيها الأخوة المومنون ، ليس لصمود مجتمعنا أمام التحديات شيء من خوارق العادات ، أو تبديل لسنة الله في خلقه ، كلا ! .. بل هو الأخذ المحكم بتلك السنن نفسها ، والتنفيذ الذكي لل عمران الصالح في الأرض ، كما أراده الله لهذا الإنسان بأن يجعل ولاءه الأعلى لله وحده لا شريك له ، وأن يتعامل مع نفسه وذويه ومع الناس أجمعين وفق ما شرعه الله من أحكام الحلال والحرام ، ومن أخلاقيات فردية واجتماعية تجسّد ما تنزلت به الآيات ، وما ثبت بيانه من أحاديث رسول الله . تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْنَا الَّذِينَ مِنْ

(10) سورة النساء ، الآية 97 .

قبلهم ، وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً⁽¹¹⁾ ولنا أن نتساءل : هل نحن اليوم موقّون بشروط هذا الوعد الإلهي الصادق ؟؟ .. أم أصبحنا في حظيرة من قال الله فيهم : ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غياً﴾⁽¹²⁾ فإذا كانت الصراحة خير دواء نعالج به مشاكلنا ، والإنصاف خير وسيلة نشخص بها أمراضنا ، فإنني لست يوماً -بفضل الله - من المتملقين المرائين ، ولا من المنافقين المخادعين . ولطالما أنذرتكم من مقامي هذا شراً مستطيراً يجوس خلال الديّار ، ويقبع في زوايا أوكارنا بعد أن تسلك من خلف الأسوار . وكما قال الداعية المخلص : «إن التحديّ الأول يجيء من داخل أرضنا» ، ولا أدلّ على ذلك مما نعاينه اليوم في أولادنا من طيش ونزق وتمرد تجاوز كل الحدود ، حتى أصبح انحرافاً خطيراً يهدّد أمن المجتمع في شرفه وعرضه ، وفي أرزاقه وأمواله . وليت لنا من الزواجر المادية والمعنويّة ما نستطيع به أن نكبح جماح السفهاء أو نردّ به كيد الغاوين . فتلك أمانة أضعناها في هوس الحساسيات ، وأفقدنا فعاليتها في حمى العصبية⁽¹³⁾ وأنا لا أصف لكم واقعاً أنا عنه بمعزل ، ولا أبالغ في تشخيص مرض أُنتم منه بنجوة ، بل الرأي والصواب أن يكون المسلم مرآة أخيه . فربّ أمر ذي بال لا نأبه له ، إما بانشغالنا في زحمة الأعمال ، وإما بشرودنا في متاهات القيل

(11) سورة النور ، الآية 55 .

(12) سورة مريم ، الآية 59 .

(13) يشير الخطيب إلى الزاجر الروحي الذي ما يزال يطبق في وادي ميزاب من البراءة الشخصية التي تلحق كل منحرف مجاهر بالمعاصي فيعلن بالبراءة منه في المسجد ليصبح معزولاً عن المجتمع ولا يرفع عنه ذلك من أخصّ أقربائه حتى يعلن عن توبته إمام الملا بالمسجد .

والقال . وهو يجزّنا إلى سوء المآل . وقليل هم أولئك الذين يحملون بين جنوبهم تلك القلوب المرهفة الحساسة ، وتلك النفوس الكبيرة التي لا تعيش لذاتها ولا تنحصر في رغباتها وشهواتها بقدر ما هي سارحة في الآفاق : مشدودة إلى الغايات الكبرى مهمومة بالقيم العظمى ، ولكنها لا تجد تجاوباً مع غيرها فتغتم وتشقى ، وقديماً قال أبو الطيّب المتنبي :

ذو العقل يشقى من النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
فيا ذوي الشهامة والمروءة ، ويا أرباب العزة والكرامة ، يا من يعزّ عليكم أن تروا ملاذ أجدادكم تستباح كرامته ، وتأرز دينكم تناوشه الحيات والأفاعي بالسموم الناقعات . فهل من نجدة وإسعاف لرتق الفتوق ؟ وتعزيز الحصانة والمناعة ؟ وهل من ترياق يمنع مفعول السموم ؟؟ .. ألا بلغت ؟ .. اللهم فاشهد ! ..

الخطبة الثانية

الحمد لله القائل وقوله الحق : ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾⁽¹⁴⁾ نحمده حق حمده ونصلّي ونسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون ..

ليس أروع من تصوير رسول الله للمجتمع براكبي السفينة . في

(14) سورة هود ، الآية 117 .

جزئها العلويّ والسفليّ ، وكيف راجت على الذين هم في أسفلها ، فكرة اتخاذ خرق بدعوى حرية الانتفاع بما لهم فيه حق شرعيّ ، ورفع الحرج على من فوقهم بالمرور عليهم عند سقي الماء . ثم يقول الرسول : «فإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً ، وإن تركوهم وشأنهم هلكوا» (15) . وهل واقعنا اليوم - أيها السادة - يخرج عن هذه الصورة التي حذّر منها رسول الله ؟ كلا ! فليس ما نعانیه من مشاكل إلاّ نتيجة لبروز فكرة الأعلين والأسفلين في سفينة مجتمعنا ، وليس من سبب الانعدام الإنسجام والتعاون والتشاور بين الطبقتين . فإذا كان سوء التربية ، وفقدان روح المسؤولية والحسّ الاجتماعي قد أدّى بأولئك في مكانهم من السفينة أن يخرقوا خرقاً يعرض الجميع إلى الهلاك ، فهل من اللائق بمن هم في الأعلى أن يقفوا موقفاً سليماً أزاءهم فلا ينهونهم عما هم فيه من الحمق والاستهتار ؟؟ .. بل الأدهى من ذلك أن يجد هؤلاء المستهترون من يصفّق لهم ويشاركهم في القرار ، فلينظر العقلاء أي مصير ينتظرنا إن بقينا نسير في هذا المشوار ؟ يقول ربّنا تبارك وتعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (16) ولله الأمر من قبل ومن بعد ، وتلك سنته في مجال الابتلاء والاختبار . فليتحمل كل منا مسؤوليته ، ولات حين انتظار . عسى ربنا أن يلطّف بنا في قضائه ، ويجنّبنا المهالك بفيض رحمته وسخائه . اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل برّ ، والفوز بالجنة والنجاة من النار . يا أرحم الراحمين .

والحمد لله ربّ العالمين

(15) رواه البخاري

(16) سورة الأنفال ، الآية 25 .

خزائن الخير وخزائن الشر

انعقد في مدينة غرداية مؤتمر عالمي للرهان الرياضي في نزل الجنوب بتاريخ 4 . 5 . 6 / 12 / 91 وقد خطط لهذا الملتقى مسؤولو المؤسسات التي تشرف على هذا النوع من القمار ، في غفلة من سكان المنطقة ، ودونما علم ولا طلب إذن من مسؤولي إدارتها . بمجرد وصول الوفود المشاركة إلى غرداية ، وانكشف أمر هذا الملتقى لدى الجماهير ، هبت كلها منددة ومحتجة لدى السلطات المعنية ، لتدارك الأمر وتقليص أقصى ما يمكن من نشاط. هذا الملتقى الذي يشجع المنكر ويكرس الرذيلة . وقد ندّد الأئمة بهذا المنكر في بيوت الله فكان هذا الخطاب .

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء ، القائل في محكم كتابه الكريم : ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء ، ولتسألن عما كنتم تعملون﴾⁽¹⁷⁾ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يملي للظالمين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون . ونصلّي ونسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين وبعد :

فيا أيها الأخوة المومنون .. لقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن هذا الخير خزائن ، ولهذه الخزائن مفاتيح . فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر

(17) سورة النحل ، الآية 93 .

مغلقاً للخير»⁽¹⁸⁾ . أجل ! .. ما أبلغ حكمتك يا رسول الله ، وما أبلغ هذا التصوير لقيمة الخير بمفهومه الشامل ، تلك القيمة المعنوية الغالية التي لا يأبه لها كثير من الناس ، بل لا يقدر على تحصيلها إلا أولو العزم والإرادة ممن زكى الله نفوسهم وطهر قلوبهم ، فأقدرهم على مغالبة الرغبات والشهوات . فإذا كانت النفائس والأموال في قيمتها المادية الفتانة ، تودع في الخزائن المحكمة لحفظها وصيانتها وهي متاع زائل ، فإن المثل العليا والقيم الروحية لهي أفضل كنز وأعظم ذخيرة يطلبه العقلاء من الناس ، ويسعى لكسبه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وهو يتجاوب مع قوله تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً ﴾⁽¹⁹⁾ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، ووقفهم لمكانم تلك الخزائن ، يملكون مفاتيحها فينفعون وينتفعون ويجعل الله منهم حراساً للفضيلة ، يصدون منافذ الشر حيثما وجدت ، ولا يتخلفون في مجال التضحية مهما عظمت ، فطوبى لهم وحسن مآب .

وعلى النقيض من هؤلاء ترى الذين لا يرجون لقاء الله ، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، كيف يتهافون على الفواحش والمنكرات يروجون أسواقها بعد أن أصبحوا من أولياء الشيطان ويمنعون في الغي والضلالة تحديداً لأولى التقوى والإيمان ، وإشفاء لما فيه قلوبهم من الأحقاد والأضغان . ذلك لأنهم عاجزون عن أن يكونوا في مصاف الأخيار ، وقلوبهم خاوية بما ظلموا حين ابتسمت لهم الدنيا وواتتهم الأقدار ، ولم ينتبهوا في سكرتهم لتقلب الليل والنهار . وهكذا يصيبهم

(18) رواه ابن ماجه .

(19) سورة الكهف ، الآية 46 .

هوس الخطوة والجاه ، يلتمسونهما بكل وسيلة دونما خوف من خزي ولا عار . وهؤلاء يصدق فيهم قول الشاعر :

إذا رمت أن تلقى من الناس حرمة

فكن سيّداً للخير أو سيّداً الشرّ

فحسب هؤلاء التعساء من وعيد الله لأمثالهم في قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحبّ الفساد ، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾ (20) أيها الأخوة المومنون : لقد تناهى إلى أسماعنا ما حدث في عقر هذه الديار الطاهرة ، من لقاء لأساطين القمار ، تنادوا إليه من بعض أصقاع العالم ، وقد سؤل لهم الشيطان وأملى لهم ليختاروا من حرم ديارنا العامرة منتدى للقائهم النكد ، وملتقى لمداولاتهم الرعناء وخططهم السوداء ألا يئسما سؤلّت لهم أنفسهم ، ويا خزي من كان دليلهم إلى هذه الربوع . فحسبه خذلاناً أن يكون دليلاً للغيّ والسفاهة ، ومفتاحاً للشرّ والغواية ، في ديار بنيت على تقوى من الله ورضوان ، وعاشت للطهر والفضيلة على مدى الأزمان ، ويأبى أهلها إلا أن تبقى مأرزاً لدين الله وحصناً للعمل الصالح وخالص الإيمان .. إنها لطعنته نجلاء سدّدها أعداء الإسلام ومن يمشي في ركابهم إلى هذا المجتمع الفاضل . فكم من سهام سدّوها بأيديهم النجسة فضلت أهدافها لأننا منهم حذرون ، ولمكايدهم متنبهون ، فما لهذا السهم المسموم

(20) سورة البقرة ، الآية 205 - 206 .

يصيب المحزّ ونحن عنه غافلون ؟ ذلك لأننا أوتينا من داخل الأسوار ،
وصفنا بأيدينا جرياً وراء الدرهم والدينار .

ومن رعى غنماً في أرض مأسدة ونام عنها تولّى رعيها الأسد
وإن تعجب فعجب أن تتردى أوضاعنا إلى هذا الدرك المهين ،
بفتنة المال والبنين ، وأسلافنا - رحمهم الله - ما فرعوا إلى هذه الأرض
الطيّبة ، وأنزواوا في شعابها الجرداء إلّا هروباً بدينهم يوم أصبحوا فيه
يفتنون . ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ،
ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾ (21) فأقاموا لأبنائهم هذا الحصن المنيع
ليسلخوا بهم سبيل الرشاد ، ويسدّوا عنهم منافذ الشرّ والفساد . ويشاء
الله العليّ القدير أن يبلونا بما آتانا ، ويمحصّ إيماننا وتقوانا . وآياته
تستحثّ هممنا بالعشيّ والأبكار : ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ (22) وتحذرنّا من
فتنة الأموال والأزواج والأولاد : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من
أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم ، وإن تعفوا وتصفحوا
وتغفروا فإن الله غفور رحيم . إنما أموالكم وأولادكم فتنة
والله عنده أجر عظيم﴾ (23) .

نعم أيها الأخوة المومنون .. إن عقوق أولادنا وتمردهم علينا لهو
عقاب من الله لما فرطنا فيه من حقوق وأضعنا من أمانات . فلنستمع
إلى قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون . واعلموا أنما أموالكم

(21) سورة الدخان ، الآية 27 .

(22) سورة آل عمران ، الآية 200 .

(23) سورة التغابن ، الآية 14 - 15 .

وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم ﴿٢٤﴾ فانظروا - رحمكم الله - كيف ارتبطت خيانة الأمانات بخيانة الله ورسوله ، وهي أمانات كثيرة ، تشمل كل ما نحن مكلفون به حقوقاً نراعيها أو واجبات نؤديها ؛ لا كما تشاء أهواؤنا ، أو مجارة لما عليه الناس ، بل كما أمر الله به ورسوله وأخذنا عليه ميثاقنا : ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير﴾ ﴿٢٥﴾ فكل تضييع أو تقصير في أداء هذه الأمانات ، فهو دليل على ضعف إيماننا بربنا ووجود لآلئه ونعمه . ومع الغفلة والتمادي نغدو من الظالمين الذين يذكّرهم الله بمصائر الأمم الخوالي من قوله تعالى : ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد﴾ ﴿٢٦﴾ .

فاللهم إنا نعوذ بك من هون الظلم وذلّ الخيانة ، ونعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن . اللهم قنا نوائب الزمان ومكائد الشيطان ، وسطوات السلطان . يا أرحم الراحمين .

الخطبة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلاّ على الظالمين ، نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له . نستغفره ونتوب إليه ،

(24) سورة الأنفال ، الآية 27 - 28 .

(25) سورة هود ، الآية 112 و 102 .

(26) سورة هود ، الآية 112 و 102 .

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحابه أجمعين . وبعد :
 فيا أمة الإسلام .. إن من أعظم الأمانات التي نبهت إليها الآية الكريمة
 أمانة الأولاد . ويا ما أثقلها أمانة تنوء بحملها الأرض والجبال ، وهل
 من مشكل هو أدهى على الحكومات والدول من تربية الأجيال ؟ ..
 ولذا نلاحظ ذلك الترابط الذي ورد في الآية الكريمة بين خيانة الأمانة
 وفتنة الأموال والأولاد ، مما يجعلنا نبّه إلى مكن الخطر في ما
 يمكن أن نظمئن إليه في رحاب بيوتنا ، ونحن مفتونون بزينة الدنيا
 من مال وبنين ، ومأخوذون بعاطفة الحبّ والحنان ، فنفرط في التسبّب
 والدلال ، ونوغل في الترف والبذخ بإنفاق الأموال ، وتلك - لعمري -
 مهلكة للدين ومفسدة لأخلاق الرجال .

يقول الداعية المرحوم سيد قطب في تفسير الآية الكريمة : «يتكرّر
 الهتاف للذين آمنوا مرة أخرى ، لأن الأموال والأولاد قد تقعد الناس عن
 الاستجابة خوفاً وبخلاً . والحياة التي يدعو إليها رسول الله حياة
 كريمة ، لا بدّ لها من تكاليف ، ولا بدّ لها من تضحيات . لذلك يعالج
 القرآن هذا الحرص بالتنبيه إلى فتنة الأموال والأولاد ، فهي موضع ابتلاء
 واختبار وامتحان . وبالتحذير من الضعف عن اجتياز هذا الامتحان ،
 ومن التخلف عن دعوة الجهاد وعن تكاليف الأمانة والعهد والبيعة ،
 واعتبار هذا التخلف خيانة لله والرسول ، وخيانة للأمانات التي تضطلع
 بها الأمة المسلمة في الأرض ، وفي إعلاء كلمة الله وتقرير ألوهيته
 وحده للعباد ، والوصاية على البشرية بالحق والعدل⁽²⁷⁾ .

ومن فضل الله علينا أن لا يدعنا حيارى في هذه المسالك الوعرة

(27) ظلال القرآن ، ج 09 ، ص 837 .

بلا دليل ، ولا يكلنا إلى أنفسنا حين ينوء بنا الحمل الثقيل . بل يمدّنا بعونه ويشدّ أزرنا لنهتدي إلى سواء السبيل ، فيقول جلّ من قائل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فِرْقَانًا وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (28) يقول المفسّر الداعية هذا هو الزاد وهذه هي عدة الطريق ، زاد التقوى التي تحيي القلوب ، وعدة النور الذي يكشف منحيات الطريق ودروبه على مدّ البصر ، فلا تغبشه الشبهات التي تحجب الرؤية الكاملة الصحيحة ، ثم هو زاد المغفرة للخطايا ، الزاد المطمئن الذي يكسب الهدوء والقرار ، وزاد الأمل في فضل الله العظيم يوم تنفذ الأزواد وتقتصر الأعمال» (29) ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما . اللهم إن أولادنا هم عماد ظهورنا ومعقد آمالنا . اللهم لا تجعلهم فتنة علينا حتى لا نعين عليهم الشيطان . اللهم اجعل لنا من كل همّ فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ومن كل بلاء عافية . اللهم من أراد بالمسلمين سوء فاشغله في نفسه واردد كيده في نحره يا أرحم الراحمين والحمد لله ربّ العالمين .

(28) سورة الأنفال ، الآية 29 وتفسيرها في ظلال القرآن ، ج 09 ، ص 840 .

(29) سورة الأنفال ، الآية 29 وتفسيرها في ظلال القرآن ، ج 09 ، ص 840 .

وباء السيدا نذير من الله

أقيمت حملة واسعة النطاق ضدّ مرض السيدا في كل ولايات الوطن ، وقام الأئمة بواجبهم في التوعية والتحسيس على منابر بيوت الله فكان هذا الخطاب .

الحمد لله ربّ العالمين ، القائل في محكم كتابه وهو أحكم الحاكمين : ﴿ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾⁽³⁰⁾ ونشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه أجمعين . وبعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون . إن الفواحش والمنكرات لا يقوم عليها عمران ولا تستقيم بها شؤون الحياة ، ولا يمكن أن يسان لمرتكبيها شرف ولا دين . ولذا جعل الله محاربتها والقضاء عليها من أعظم الواجبات وأؤكد المهام التي يضطلع بها رسل الله وورثتهم من العلماء والمرشدين فقال جلّ من قائل في بيان مهمّة رسوله : ﴿يحلّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾⁽³¹⁾ وقال تعالى : ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا

(30) سورة الروم ، الآية 41 .

(31) سورة الأنعام ، الآية 141 .

على الله مالا تعلمون»⁽³²⁾ ومن جهة أخرى توعد بالعذاب الأليم أولئك الذين ارتموا في حماة الأرجاس ، ثم أخذوا يروجون للفاحشة في الأوساط الطاهرة ، استدراراً للأموال ، وإمعاناً في سبل الغي والضلال . فقال جلّ من قائل : «إن الذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون»⁽³³⁾ ومن أخبث الفواحش وأشدّها فتكاً بالصحة العمومية : فاحشة الزنا والشذوذ الجنسي وما يصحبهما من الإدمان على المسكرات والمخدرات . فلا عجب أن يقف الإسلام منها موقفاً حازماً ، ويقرّر في حق مرتكبيها عقاباً صارماً ، بعد أن وضع لضمان الطهر الاجتماعي والمناعة الصحية سياجاً من الوقاية ، تحفظ هذا الإنسان من عفونات الأمراض الجسمية والنفسية والعقلية بتحليل الطيبات وتحريم الخبائث ، كما أشارت الآيات الكريمات ، ثم بتحديد الزواجر والروادع لمن أخلد إلى الأرض واتبع هواه .

فيا أيّها الشباب المسلم . إن من أجل نعم الله علينا نعمة الصحة والفتوة . يقول عليه الصلاة والسلام : «نعمتان مغبون فيها كثير من الناس : الصحة والفراغ»⁽³⁴⁾ أجل : .. إن من أفدح الغبن وأكبر الخسارات أن لا يشعر الإنسان بقيمة هاتين النعمتين عندما يهمل واجبه بالعجز والكسل ، أو يستخرهما للغيّ والسفاهة . فالصحة والفراغ هما رأس مالك الضخم ، أستودعك الله إياه لينظر كيف تحافظ عليه وتنميّه ، ولسوف يسألك عن إنفاقك منه وتصرفك فيه . يقول رسول

(32) سورة الأعراف ، الآية 33 .

(33) سورة النور ، الآية 19 .

(34) رواه البخاري عن ابن عباس .

الله ﷻ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل فيه » (35) . فيا من أفنى عمره في الغي والسفاهة ، ويا من أبلى شبابه في الفسق والفجور ، ويا من أنفق أمواله في الرجس والحرام ، ويا مروجي الفاحشة وطالبي المتاع الدنيء ، هل تشعرون بفداحة جرمكم وسوء دنيئتكم وأنتم مستنقعون في تلك الأحوال ؟ وهل تدركون مقدار تجنيكم على أنفسكم ، وتعدّيكم على حقوق غيركم بما تجرّون إليهم من الشرّ والوبال ؟ حين أطلقتكم لشهواتكم العنان ، ورضيتم لأنفسكم بالعار والخذلان ، وأصبحتم من أولياء الشيطان ؟ ألا تعتبرون بما حاق من الخسف والعذاب لأولئك الذين تحدّوا الله ورسوله ، وانحرفوا عن الفطرة السليمة ، حين ارتكبوا من الشذوذ الجنسي تلك الفعلة الذميمة ؛ فأمر الله عليهم حجارة من سجيل ، وجعل قراهم عليها سافلها في عذاب شديد ، وقال عزّ من فائل : ﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ (36) . سبحانك اللهم سبحانك ، ما أعظم سلطانك وأعزّ شأنك ، تملي للظالمين وتستدرجهم من حيث لا يعلمون ، ثم تأخذهم أخذ عزيز مقتدر . فها نحن في عصر العلم والتنوير ، وتكنولوجيا الذرة والفضاء ، وقد فرح هذا الإنسان بحصيلته العلمية ، إذ امتلك ناصية المادة وسخرها لخدمته ومتاعه ، بعيداً عن منهج خالق المادة ومبدع عقل الإنسان ، ها نحن نشاهد آيات الله في الآفاق وفي أنفسنا ، وكيف تنادي العالمون بالويل والثبور ، وقد أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ، عندما

(35) رواه الترمذي .

(36) سورة هود ، الآية 83 .

دبّ في دمائهم «فيروس السيدا» لينزع عنهم المناعة الجسدية ، إذ انغمسوا في أوحال الشهوانية وارتكسوا في حماة البهيمية ، ويشاء الحي القيوم ، أن يذلّ بأحقر مخلوقاته من يتناول على العالمين بحرب النجوم . فإذا بالموت الزوأم يحصده حصداً ، ولا يستطيع بترساناته لها صداً . إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار . وصدق رسول الله حين تنبأ بهذه الأوبئة الفتاكة ، يسلمها الله على المنتهكين لحرماته ، والمتعدّين لحدوده فقال ﷺ : «لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يعلنوا بها إلاّ فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم» (37) .

أيها الأخوة المؤمنون .. قد يقول قائل : ما لنا وللعالم الجديد ؟؟ .. فليخساً في طغيانه وجبروته ، وليذق شرّ فساده ووباله ، فنحن عن خطر ذلك الوباء مبعدون ، وفي حرزنا آمنون ، كلا . بل نحن في ظننا ذلك واهمون ، فلئن انحسرت عن بلادنا الجيوش والأساطيل ، فهم يغزوننا في عقر ديارنا بالأقمار الصناعية والهوائيات المقفّرة ويتدصدوننا في كل سبيل . وإلاّ فمن أين دلف إلينا هذا المخلوق العجيب لتصل الإصابات في بلادنا إلى مئة أو تزيد ؟؟ .. إنه - ولا شك - من جند الله يصيب به من يشاء ويصرفه عن يشاء ، فمن وقع في حمى الله ولم يستحي منه حق الحياء ، فقد استهدف بنفسه لهذا الوباء . فهو لا يدري من أيّ منفذ يتسلّل إليه ، وليس له من دواء يقضي عليه ، ولا علاج يدرأ سهمه في الموت البطيء يشاهده أمام عينيه .

إنه لخلق عجيب حيّر أساطين الطبّ ، وعجزوا عن إدراك سرّه

(37) رواه البيهقي .

الغريب ، فعينوا له يوماً عالمياً للتجنيد في مكافحته . ولكن ما لنا نحن وللوقوع في السفاهة والغواية ؟ ولنا في ديننا الحنيف كل أسباب الحصانة والوقاية ؟؟ فلنأخذ بها ولنلتزم بأحكامها فإننا - بإذن الله - سوف نحمي أنفسنا من هذا الغول ، ونصون بلادنا من شره الوييل . ففي الحصانة الزوجية والالتزام بأحكامها وآدابها الشرعية ، حصن حصين ودرع منيع لشبابنا من الانحرافات . فلنحرص كل الحرص على المزيد من توفير أسباب الزواج وتيسير مؤونته على أبنائنا . وكل جهد بذلناه في سبيل ذلك ، وكل تضحية قدمناها في مجال التكافل الإجتماعي ، فإننا نوفر لأبنائنا وأحفادنا المناخ الصحي النقي ، وبالتالي نكفل لمجتمعنا الطهر والعفاف ، لنحافظ بذلك على شرف أرومته وطهر محتده .

أيها الشباب المسلم : إن هذه الإصابات المضبوطة في بلادنا هي نذير شؤم يحذرنا من الوقوع في مخالف هذا الطاعون ، وينبئنا إلى ما يجرنا إليه الغاؤون . فإن هؤلاء لا تعوزهم البؤر الفاسدة والبيئات المتعفنة ، فإن هم عجزوا عن الخروج إلى ما وراء البحار ، جاسوا الديار ، وهتكوا حرمة القرابة والجار . وتلك - لعمري - هي الطامة الكبرى حين نرضى أن نكون وقودا للنار ، بقبول الدنيئة والدياثة في حرماننا ، وبالفحشاء والمنكر تروج سوقها في ديارنا والله تعالى يقول : ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ (38) . اللهم إنا نبرأ إليك من كل منكر يخيفه سواد الليل أو صخب النهار ، ونعوذ بك من النار والعار ،

(38) سورة الأنفال ، الآية 25 .

ومن زوال النعم وحلول النقم ، اللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا ولا بذنوب غيرنا
ولا بما فعل السفهاء منا إنك أنت التواب الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله العليّ القدير ، وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم
الخبير ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الحمد في
الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ، ونصلي ونسلم على سيّد
المرسلين وخاتم النبيّين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحابه
أجمعين . وبعد : فيا أمة الإسلام . دين الطهر والعفاف ، ودين العدل
والانصاف . ﴿ اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم
مسلمون ﴾⁽³⁹⁾ ، ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، وقودها الناس
والحجارة ﴾⁽⁴⁰⁾ .

احذروا من الوقوع في المهلكات ، واعتبروا بمصير من تحدّى جبّار
السموات ، إذ نكص عن جادة الدين ؛ مغترا بما عنده من العلوم
والفنون . ينشر الغواية والفسوق في ربوع العالمين ، بدعوى الحرية
ومحاربة الكبت بين الجنسين . فويل للمفتونين ببيرقه الزائف ،
والمتفيئين لظله الوارف . فإن وراء البريق السراب الخادع ، وتحت
نديّ ظلاله السمّ الناقع . ففي أحكام ديننا - والحمد لله - الطمأنينة
والهناء ، وفي آدابه الوقاية والشفاء ، ولا يستبدل الذي هو أدنى بالذي

(39) سورة آل عمران ، الآية 102 .

(40) سورة التحريم ، الآية 06 .

هو خير إلا من اختلت موازينه وتنكب عن الصراط السويّ ، ثم غدا
ولياً لكل شيطان غويّ . فلنأخذ مثلاً من حكمة ديننا في تشريعاته
التي تقوم أساساً على جلب المنافع ودرء المفاسد ، بما يحفظ النفس ،
والعقل والنسل والمال . فليس عبثاً أن يشدّد الله على الوطء في
الحيض ، وذلك فيمن جعلهن الله حرثاً لنا ويعلّل ذلك بأنه أذى
ومضرة ، وينهانا عن قربهن حتى يطهرن . فوا عجباً لأمر هذا
الإنسان ! حين يتمرّد عن فطرته ويهين من كرامته ، فيلغ كالخنزير
في الأوساخ والأقذار ، ويرضى لشرفه بالدنس والعار ، ثم هو لا يقف
عند الحد الأدنى من الإنحراف ، بل يرتكس في الخطيئة إلى الأذقان ،
حين يصاب بالشذوذ في إتيانه للذكران . فها هي نقمة السماء تنذر
بالويل والخسران . فهل ينتهي الغاؤون من تماديهم في الفحشاء ،
وإعراضهم عن تعاليم السماء ؟ اللهم إنا نعوذ بك من الطعن والطاعون
والوباء ، ومن عظيم البلاء في النفس والأهل والمال والولد . ونعوذ من
درك الشقاء ، وشماتة الأعداء . متعنا اللهم بأبصارنا وأسماعنا وعقولنا
وجميع جوارحنا ما أبقيتنا واجعل ذلك الوارث منا يا أرحم الراحمين .

الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل . حديث

الحمد لله الذي شرفنا بالإسلام ، وهدانا إلى الإيمان ، وأنار بصائرنا بنور القرآن ، نحمده حق حمده ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهد الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً . ونصلي ونسلم على من بعثه الله هادياً إلى الحق بشيراً ونذيراً سيدنا محمد وعلى آله الذين شرفهم الله بقوله : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَهْذِبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (41) وعلى صحابته الأكرمين ، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد : فيا أيها الأخوة المومنون . لقد حدّد الرسول ﷺ صفة الإيمان الصحيح حين قال : « ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل . ومن ثمراته التقوى . إذ أشار الرسول إلى صدره وقال التقوى ها هنا » (42) ويقول المولى جلّ وعلا : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يَعِظْكُمْ شُعَائِرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (43) فالقلب في التعبير القرآني هو محطّ الأنوار الربانية ، ومستودع الخصائص الإنسانية التي كرم الله بها بني آدم . ولا يفتح مغاليق هذا القلب لتسرب إليه الأنوار الإلهية غير الإيمان الصحيح بالله وإدمان ذكره في السرّ والعلانية ، وإخلاص التوجّه إليه في كل مسلك وسبيل ، وابتغاء الوسيلة إليه في كل مأرب

(41) سورة الأحزاب ، الآية 33 .

(42) رواه البخاري .

(43) سورة الحج ، الآية 32 .

ومقصد يقول تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾ (44) ويقول : ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم﴾ (45) فإذا ما خشع القلب لذكر الله انفتحت شغافه لبركات السماء ، واستنارت أرجاءه للإلهامات الإلهية ، فأصبح يبصر بنور الله ، لا تستخفه الغوايات ، ولا تهزه الملمات ، لأنه مطمئن بذكر الله : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (46) غير أن الإنسان على ما فطر عليه من الغفلة والنسيان وانصياعه أحياناً لوساوس الشيطان ، أو انغماسه في الملذات والشهوات ، قد لا يثوب إلى رشده حتى تنسد منافذ قلبه ، وتكسوه غشاوة الضلالات والأوهام . وحينئذ تختلط لديه المفاهيم فلا يتبين الرشد من الغي ، وينقطع عنه المدد الإلهي فلا يستقيم له أمر ، ولا يستجاب له دعاء ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ (47) ويقول ﷺ : «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب . فسلوا الله تعالى أن يجدد إيمانكم» (48) .

نعم ! .. أيها الاخوة المومنون . إيمان الكثير منا قد خلق ، فنكب عن صراط ربّه وفسق . لقد أغوتنا الدنيا بزخارفها فرحنا نلث وراء سرابها ونستكثر من متاعها ، ولو كان ذلك على حساب إيماننا وشرفنا ، ونحسب أن ذلك من فضل الله علينا ، ناسين أو متناسين قوله

(44) سورة المائدة ، الآية 35 .

(45) سورة التغابن ، الآية 11 .

(46) سورة الرعد ، الآية 28 .

(47) سورة المطففون ، الآية 14 .

(48) رواه الطبراني .

تعالى : ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (49)
 ويقول تعالى : ﴿فَذَرِهِمْ فِي غَمَرْتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ، أَيْحْسِبُونَ أَنَّ
 مَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ، بَل لَا
 يَشْعُرُونَ﴾ (50) .

نعم ! .. لقد أمدنا الله بالمال والبنين ، وأفاض علينا من الخيرات
 والنعم ما لم يحلم به أبائنا الأولون ، ولكن أغلبنا لا يشعر بما وراء
 المال والبنين منالفتنة والاختبار . فهم في غمرتهم ساهون ، وعن
 شكران نعمة ربهم غافلون . وإلا فدلوني - بربكم - على أولئك الذين
 يتمتعون منا في حالة النعماء باليقظة والحذر ، وبالاشفاق من الوقوع
 في البغي والطغيان ، والغرور والعجب والكبرياء ، وغير ذلك من
 الصفات الذميمة التي تلازم - غالبا - هولاء المترفين . أين فينا اليوم
 من عناهم الله بقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ،
 وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يَوْمَنُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا
 يَشْرَكُونَ ، وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ
 رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ . أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها
 سابقون﴾ (51) .

أنظروا أيها المؤمنون هذه المقاييس الإلهية الثابتة كيف تبرز أثر
 الإيمان في القلب الذي يبدو في تلك الحساسية المرهفة ، وفي ذلك
 التحرج المفرط في مراعاة العواقب والاشفاق من الرجوع إلى الله
 ومعاناة الحساب . فقد روي عن عائشة (ض) أنها قالت : «يا رسول الله

(49) سورة الأنبياء ، الآية 35 .

(50) سورة المؤمنون ، الآيات من 54 إلى 61 .

(51) سورة المؤمنون ، الآيات من 54 إلى 61 .

الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال : لا يا بنت الصديق ، ولكنه يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل» (52) .

ذلكم أيها المؤمنون هو أثر الإيمان الصحيح في قلب المؤمن . فإن وجدتم ذلك فاحمدوا الله عليه واطلبوا منه المزيد . وإن افتقدتموه فالتمسوه بالتوبة النصوح وبالإنابة إلى الله الغني الحميد .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، بعث الله إلى العالمين بشيراً ونذيراً ، وأحاطه بعنايته ونصره ، وهداه للتي هي أقوم ، وكفى بربك هادياً ونصيراً . أما بعد :

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، إياكم والبدع والضلالات ، واعلموا أن الله عليهم بذات الصدور وأنه يعلم السر وأخفى . ينادينا للإيمان ويحذرننا من مكاييد الشيطان . إذ يقول جلّ من قائل : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون﴾ (53) وقال : ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ (54) . وهل ابتغى إلى الله

(52) رواه أحمد والترمذي .

(53) سورة المائدة ، الآية 35 .

(54) سورة الكهف ، الآية 110 .

الوسيلة من راح يتقرب إلى الأولياء ، ويتمسح بالأضحية يبكي عندها ويشتكى لها أو يتمرغ حولها سائلاً إياها عن حاجاته وملتمساً عندها قضاء مآربه ، معرضاً نفسه لغضب الجبار ، وسالكاً إياها في عداد الكفار . وهذا رسول الله في وصيته لابن عباس يركّز معنى الإيمان الصحيح من قلبه إذ يقول : «يا غلام ! احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . رفعت الأقلام وجفت الصحف»⁽⁵⁵⁾ . فأين نحن من هذه التوجيهات الشريفة ؟؟ وهذه بعض نساءنا يجرين وراء كل مشعوذ سحّار ، يلتمسن عنده حظاً من الدنيا يتعجلن به وهماً وضلالاً ، أو يستبقين على محبة في زوج أو والد أو ولد عجزن عن استمالاته عشرة وأخلاقاً وخصالاً . وقد يفرقن بين المرء وزوجه ولا يبالين بما وراء ذلك من ضرر وفتنة ، ومن خزي وعار . حتى بلغ الأمر ببعضهن أن يضيعن شرفهن ويرتمين في حمأة الرذيلة ، بعد أن أغراهن المشعوذ بأن ذلك أضمن لنجاح المسعى وأفضل وسيلة . فيا للفضيحة ويا للعار ! .. لهؤلاء السذج الغافلين ، كيف يشتررون الدنيئة بأموالهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟ فأين التقوى وأين الإيمان ؟ ألا يعلم هؤلاء أن السحر عنوان الكفر ، وأن الله تعالى نسب السحر لأعوان الشيطان فقال عز من قال : ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾⁽⁵⁶⁾ وقال : ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾⁽⁵⁷⁾ لقد

(55) رواه مسلم .

(57) سورة طه ، الآية 69 .

(56) سورة البقرة ، الآية 102 .

أصبحنا نشاهد ونسمع عن عائلتنا في هذه الفتنة ما ينذر بشرّ مستطير ، ويهدّد مجتمعاتنا بسوء المصير . فأغلب هؤلاء النسوة اللاتي يزاحمن الرجال بالمناكب في الحافلات هن سفيرات الشيطان إلى هؤلاء المشعوذين . وقد جرّت هذه الأعمال الدنيئة إلى هتك حرّيات أمواتنا . فكم من امرأة تسلّلت في جناح الظلام أو قيظ الهجيرة إلى مرقد أمواتنا تنبش قبورهم لتأخذ سنّاً أو عظماً ، وقد تقطع كفّاً لقتل الطعام ، وغير ذلك مما يوحي به أولئك السفلة اللئام . وهل بعد هذه الفتنة في الدين والشرف من تماد في السكوت واللامبالاة ؟ وهل بلغ بنا حبّ الدنيا إلى السكوت عن الدنيئة ، والرضى بالمنكر والخبائث في أعزّ ما نملك من الأهل والولد ؟ فما لنا - أيها المؤمنون - لا نعي هذه الظواهر ، أم أننا عن سنن الله غافلون ، ومن قوارع الفتنة آمنون ؟ ..

اللهم إننا نسألك العافية والتقوى ، وأن تحفظنا من الخزي والعار في الآخرة والأولى . اللهم إنا نعوذ بك من شرّ الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ومن شياطين الأنس والجنّ ، ومن مكائدهم في السرّ والعلن . اللهم **﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتِكَ تَضِلُّ بِهَا مِنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مِنْ تَشَاءُ﴾** ، أنت وليّنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة **﴿(58) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** .

(58) سورة الأعراف ، الآية 155 .

آداب الطريق والمرافق العامة

الحمد لله ربّ العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلاّ على الظالمين . الحمد لله الذي شرع لنا من الدين ما تستقيم به حياتنا ، وتصلح به أحوالنا ، ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له أمرنا بالاستقامة على هديه واستجابة داعيه فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (59) ونشهد أن سيّدنا محمداً عبده ورسوله ، بيّن لنا سبيل الحياة السعيدة ، وأرشدنا إلى السلوك النظيف ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه الأبرار . أم بعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون إن الإسلام يقيم مجتمعه على أساس من التعاون والتضامن ويحكم علاقاته بوشائج من التراحم والتعاطف ، وينظم مجالات الحياة على قواعد وآداب تحقّق العدالة الاجتماعية ، وتكفل الحرية والكرامة الإنسانية لكل فرد من أفرادهِ . فإذا كان المجتمع هو الإطار العام الذي تنمو فيه العناصر الإنسانية ، والمحض الطبيعي الذي يتعهّدها بالصيانة والرعاية ، فإننا نجد الإسلام ينطلق في تنظيماته بالتدرّج الطبيعي والبناء التصاعديّ من الأساس إلى القمة . فعني بتربية الفرد كما عني بالأسرة في إعدادهما إعداداً اجتماعياً ، تجث في كل نوازع الفردية والأنانية ، ثم أوصى بالجار ، وجعل الإحسان إليه دليلاً على الإيمان الصحيح ، تمهيداً لعملية التماسك الاجتماعي في نطاقه الواسع ، ومجالاته الكبرى . حتى إذا

(59) سورة الأنفال ، الآية 24 .

تمّت عملية البناء ، وتحركت دواليب الحياة في إطاره يضع الإسلام ضوابط محددة للسلوك الفردي والنظام الاجتماعي ، ويطالب بالمحافظة على هذه الضوابط والالتزام بتلك الآداب في التصرفات اليومية ، ويشترع الحدود الزاجرة للخارجين على نظامه والمستهترين بشرائعه . وقد لخص رسول الإسلام منهجه التنظيمي في هذه الجملة المختصرة عندما قال : « لا ضرر ولا ضرار في الإسلام . والله تعالى جمل العدوان على حياة أي فرد بدون حق عدواناً على المجتمع كله فقال عزّ من قائل ﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ ، ومن أحيّاها فكأنما أحيّا الناس جميعاً ﴾ (60) .

أيها المؤمنون : في ظلال ديننا الحنيف يعيش الناس إخوة متحابين متضامين . وفي ظلاله تحترم الآداب العامة وتسان الجرمات وتكفل الحقوق . ولذا كانت الطرقات والمرافق العامة هي محكّ اختبار للأخلاق ، ومعيّاراً للتمدّن والرفق . فإذا كان للفرد أن يتصرّف وفق ذوقه ويتحرّك بين جدران بيته على مشيئته وهواه ، فإن المرافق العامة ملك للجميع ، والاتفافع بها قدر مشاع بين الناس . لا يجوز لأحد أن يحتكرها لنفسه ، ولا أن يمنع الاستفادة منها لغيره بحال من الأحوال . بل إن الإسلام بقوانينه العادلة قد ذهب إلى أبعد من هذا ، إذ منع أن تكون الملكية الخاصة مهما كان نوعها وسيلة للاضرار بالآخرين ، أو ذريعة لهضم حقوقهم . ولقد شكّا رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ من ضرر يلحقه به رجل آخر من الصحابة كان له نخل في بستانه ،

(60) سورة المائدة ، الآية 32 .

فكان يدخل عليه فيؤذيه ، فأمر الرسول صاحب النخل ببيعه للشاكي فأبى ، فقال الرسول لصاحب النخل : «أنت مضارّ ، وأمر الأنصاري أن يقلع نخله دفعاً للضرر» . وهكذا يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . فإن الناس من ظلال الإسلام مأخوذون في تصريف شؤونهم بالحسنى والإقناع ، وباستثارة العواطف النبيلة ، واستجاشة الشعور الديني في نفوسهم حتى يكون لهم من ضائرتهم رقباء ، ولكنه أراء المتعجرفين الأنانيين لا يراوغ ولا يحابي في استعمال وأزع السلطة في إطار حدود الله حتى تفيء الطائفة الباغية إلى أمر الله . ولله درّ القائل في هذا المعنى (61) :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلّا
مضّرّ ، كوضع السيف في موضع الندى
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
﴿ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا
وانصربنا على القوم الكافرين﴾ (62) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي يمنّ على من يشاء من عباده ، ويزيد الذين اهتدوا هدى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أمرنا بكل خير

(61) البيت لأبي الطيب المصنّبي .

(62) سورة البقرة ، الآية 250 .

ونهاننا عن كل شر ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ونصح الأمة اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين منهماجهم إلى يوم الدين وبعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون ..

لقد جاء الإسلام لينظم الحياة وينتظمها ، فوضع من القواعد الثابتة ، وشرع من الآداب ما يصلح لكل زمان ومكان ، وتحت أي ظرف ، ومع كل وضع . فلم تعرف البشرية ديناً كفل الحريات العامة وأحاطها بسياج من النظم والآداب مثل ما جاء به الإسلام . فلا نكاد نجد في حياتنا المعاصرة منهجاً تنظيمياً في مختلف شؤون الحياة إلا ونجد لرسول الله فيه توجيه وإرشاداً . فقد أراد رسول الله أن يمنع الخطر في اختناق الطرقات بالنهي عن الجلوس فيها أساساً ؛ فلما قال له أصحابه : إنه لا مناص لنا من الجلوس فيها قال : أعطوا الطريق حقها . قالوا وما حقها يا رسول الله ؟ قال : غضّ البصر وكفّ الأذى ، وردّ السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .⁽⁶³⁾

لنتأمل أيها المؤمنون هذا التوجيه النبوي الشريف كيف جعل من هذه الأشياء المذكورة حقاً يجب أن يكفل ؛ وذمة يجب أن تصان . فلم يقل مثلاً : احترموا الطرقات حتى لا يتوهم المخاطبون أنه يكون لهم في ذلك بعض التجاوز ، بل نجده في إرشاده يضيف عليها طابع الواجب الملزم والأمر المؤكد الذي يترتب على إهماله الإثم والذنب . وطبقاً للقاعدة الأصولية العامة التي تقرّر بأن دفع المضرة أولى من جلب المنفعة نجد الرسول ﷺ يضع في المرتبة الأولى من هذه الحقوق غضّ البصر وكفّ الأذى بجميع أنواعه ؛ حتى إذا أمن الناس

(63) رواه الإمام مسلم .

واطمأننوا لحرمتهم ، جاءت أساليب المجاملة واللياقة الاجتماعية ، ضمانا للأمن وتركيزاً للطمأنينة والثقة ، فيتحقق التجاوب العاطفي والسلم الاجتماعي بتبادل التحية ، ويتم التعاون والتكافل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

تلك هي تعاليم ديننا - أيها المؤمنون - فأين نحن منها في حياتنا اليومية ؟؟ .. وكيف أصبحت طرقاتنا ومرافقنا في غياب الوازع السلطاني وضعف الوازع الديني ؟؟ ..

إنه لأمر عجيب وفراغ رهيب ما نلاحظه في طرقاتنا من تخريب وإضرار وانتهاك للحرمت ينم عن تخلف في الوعي وفساد في التربية ينذران بأسوء العواقب . ومع هذا الوضع المتردي في ما درج عليه الناس ، لا يكتفي بالنصح الهادي والإرشاد الحاني ، بل لا بد من الضوابط الزجرية والمتابعة القانونية حتى يثوب الناس إلى رشدهم ، ويكفكفوا من غلوائهم وأنانيتهم . إننا لنهيب بأولى الأمر أن ينظموا حملات في هذا المضمار ، ويأخذوا بحزم كل تجاوز أو استهتار ، بالضرب على أيدي العابثين المفسدين حتى يألف المواطنون النظام ، فيسود الأمن ويعم السلام . أخذ الله بأيدينا إلى مافيه صلاح ديننا ودنيانا وهدانا إلى سواء السبيل ، اللهم إليك نشكو قساوة قلوبنا فألنّها ، وطول آمالنا فحققها ، وكثرة ذنوبنا فاغفرها ارحم تضرّعنا ، وأعطنا لمسكنتنا ، ولا تحرمنا لقلة شكرنا ، واغفر لنا ما قدمنا وأسررنا وأعلنّا ، وما أنت أعلم به منا . إنك على كل شيء قدير . يا أرحم الراحمين ، والحمد لله ربّ العالمين .

الحج أشهر معلومات

الحمد لله الذي جعل بيت الحرام مثابة للناس وأمنا ، وجعل الحج ومناسكه من أقدس شعائره وأعظمها للإسلام ركنا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الأفئدة تهوى إلى تلك الأماكن المقدسة ، تلتبس لها بركة ويمنا . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل : «خدوا عني مناسككم»⁽¹⁾ فأكمل بيانه دين الله الذي ارتضاه لعباده ، وحبا قرآنه حفظا وصونا . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد : ..

فيا أيها الأخوة المؤمنون . يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ لكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه فلا ينازعنك في الأمر ، وادع إلى ربك ، إنك لعلى هدى مستقيم ﴾⁽²⁾ ربما يعتبر بعض الناس قديما وحديثا أن كثيرا من أفعال الحج تعبدية لا يمكن أن نعقل حكمها ولا أن ندرك مقاصدها . فهذا التصور لمناسك الحج يبعدها عن أهدافها ، ويخرجها عن مقاصدها ، ويعطلها عن أن تأتي بثمراتها المرجوة ، وتأثيرها في سلوك المؤمن الشخصي والاجتماعي . لقد جعل الإسلام هذه الرحلة خالصة لله وهي خالية من العنت والإرهاق ، إذ فرضها ابتداء على المستطيع ومرة واحدة في العمر فقال جل من قائل : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾⁽³⁾ وقال :

(1) رواه أصحاب السنن .

(2) سورة الحج ، الآية 67 .

(3) سورة آل عمران ، الآية 97 .

﴿وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (4) . والحجّ كسائر العبادات الإسلامية له مظهره الخارجي بهذه الأعمال التي يؤديها الحاجّ ، كما أن له مقاصده العميقة بآثاره النبيلة في تهذيب السلوك ، وإثارة الوعي الإجتماعي لدى المؤمنين ، وتنمية روح الأخوة في الله ، والإعتزاز بمقومات الأمة الإسلامية وأمجادها التاريخية الخالدة .

فإذا نظرنا إلى زمن هذه الرحلة المباركة وجدنا أنه الأشهر المعلومات التي تأتي ختاماً لعام مضى في حياة الأمة لتربط أعوامها وحياتها في رباط محكم حول عبادة جامعة كبرى هي عبادة الحجّ . وجعل ملاك أمرها الوقوف بعرفات فقال رسول الله : «إنما الحجّ عرفه» (5) ثم حدّد إطارها المكاني بمهبط رسالتها المرتضاه لها من ربّها ، رابطة بذلك لوجود الأمة بمنابتها الأصلية ومحضها الطاهر ، في أقدس بقعة على وجه الأرض . ولله الحكمة البالغة في اختيار الزمان والمكان . إذ لهما إichاءاتهما في تهيئة المسلم لمعرفة الله وعبادته ، وإحسان الصلة بأخيه الإنسان ليلتقي الجميع في ظل دين لا يفرّق بين جنس وجنس أو لون ولون . يقول أحد الدعاة إلى الله في هذا المعنى : «إنما الأمم تغالي بكثير من ذكرياتها ، وتقرن بها مشاعر نفسية واجتماعية بعيدة المدى . وقد ربط النصارى أنفسهم بقبر المسيح وطريق الآلام كما يقولون ، وربط اليهود أنفسهم بحائط المبكى ، وأسّسوا عليه حقوقاً ما أنزل الله بها من سلطان . فلماذا يستغرب من المسلمين أن يرتبطوا بأماكنهم المقدسة ارتباطاً يبدو عندما يدرس أقرب إلى الرشد وأبعد عن الوهم . الكعبة هي البيت الحرام ، وهو أول

(4) سورة البقرة ، الآية 196 .

(5) رواه أحمد وأصحاب السنن .

مسجد بني في الدنيا لتوحيد الله ونبذ الشركاء وتمحيص العبادة لربّ العالمين . أليست لهذه الأولوية حقوق ؟؟ .. بلى ! وطليلة هذه الحقوق ألا يشاد مسجد في العالم إلاّ اتجه وشاركه غايته في التوحيد الخالص ، وأن ينبعث كل قادر ليزور هذا المسجد الذي أصبح قبلته حيّا وميتاً . يقول المولى جلّ وعلا : ﴿فلنولينك قبلة ترضاها ، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولّوا وجوهكم شطره﴾ (6)(7) جعلنا الله من المدركين الواعين لمقاصد الدين ، الملتزمين بتعاليمه وإرشاداته .

الخطبة الثانية

الحمد لله وليّ المؤمنين ، وهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم . ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ونصلّي ونسلم عليه وعلى آله وصحابه أجمعين وبعد : فيا أمة الإسلام . إنه مهما كابر المعاندون ، وتطاول الملحدون ، وماري في الحق الناصع الخراصون ، فإن حقائق ديننا تظل ثابتة راسخة ، ومقاصده جليلة واضحة ، لا يعتريها تحريف ولا تزييف ، لأنها تنزيل من ربّ العالمين ، بلّغها الرسول الأمين ، لتكون حجّة على خلقه أجمعين وكفى بالله شهيداً إذ يقول جلّ من قائل : ﴿فلا ينازعك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلی هدى مستقيم﴾ ويقول :

(6) سورة البقرة ، الآية 144 .

(7) الداعية هو الإمام محمد الغزالي . بشيء من التصرف عن كتابه مائة سؤال عن الإسلام ، ص 93 - 94 .

﴿وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون﴾⁽⁸⁾ فما استطاع جدال الكفار والمنافقين قديماً أن يطفئ نور الله ، وما هو بمستطيع اليوم أن يعتّم بشبهاته شمس الإسلام ، وقد بزغت ساطعة وهّاجة . وما هذه الحناجر التي تلبّي وتنادي ، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وما تأديتها لتلك المناسك إلاّ تعبير صادق عن مدى تعلق المسلمين بمقدساتهم . وإن هذه الأمة على امتداد رقعتها اليوم ، وعلى أعدادها الهائلة قد بدأت دعوة حارة على لسان الرسولين الكريمين : إبراهيم وإسماعيل ، وهما يعليان قواعد هذا البيت ، دعوة ملؤها الإستسلام لله ، والرغبة في ترسيخ عبادته وديمومتها من الآباء إلى الأبناء إلى الأحفاد ما دامت الأرض والسموات . ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾⁽⁹⁾ .

أيها المؤمنون : إننا نتوجّه إلى الله في هذه الأيام المباركة ونسأله أن يوفقنا إلى القيام بواجبنا ، والاعتزاز بديننا وتعظيم شعائره . وأن يلهمنا الرشد والسداد ، ويطهر قلوبنا من الكفر والنفاق والعناد ؛ حتى نكون بذلك أوفياء لوصية جدنا إبراهيم وهو ينادينا من عالم الغيب : ﴿يا بني إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون﴾⁽¹⁰⁾ والحمد لله ربّ العالمين .

(8) سورة الحج ، الآية 69 .

(9) سورة البقرة ، الآيات 127 - 128 - 129 .

(10) سورة البقرة ، الآية 132 .

ما بين الهجرة وحجة الوداع عبرة وذكرى للأتباع

نحمدك اللهم يا من جعلت البيت مثابة للناس وأماناً ؛ وجعلت الحج من أركان دينك الحنيف ، فأعظم به ركننا . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا نرجو سواه نصيراً ولا عوناً . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أخلص في التبليغ والتبيين حين قال للصحابة : «خذوا عني مناسككم»⁽¹¹⁾ ولم يترك منفذاً للضلال حين أذاع على مسمع الدنيا وصاياه في حجة الوداع ، فطوبى لمن أذعن للحق وأطاع ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابه ، خير النصراء وأفضل الأتباع وبعد :

فيا أيها الأخوة المؤمنون .. أية فرحة تغمرنا ؟ وأي نعم الله نؤدي؟ إذ نحتضن في هذه الأيام المباركة وفدنا إلى الله في بيته المعمور ، وقد عادوا إلينا في صحة وعافية ، موفوري الكرامة ، مطهري النفوس والأرواح كيوم ولدتهم أمهاتهم ، بعد أن قضوا تفتهم ووقوا نذورهم ، واطوفوا بالبيت العتيق . هذه الرحلة المباركة التي تهفو إليها قلوب المؤمنين كلما حلّ ميقاتها في دورة الزمن . هذه الرحلة جعلها الله تعالى إتماماً لنعمته وإكمالاً لدينه حين أنزل الله على رسوله في أعظم مناسكها بعرفات : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾⁽¹²⁾ فأين يتجلى كمال الدين

(11) تقدم .

(12) سورة المائدة ، الآية 03 .

وتمام النعمة إن لم يكونا في ذلكم المظهر الوجداني لجماعة المسلمين ، وفي ذلك الموقف العظيم بعرفات ، وهم شعث غير ، تجردوا من الرغبات والشهوات إلا الرغبة في رحمة الله ، ورضوانه ، وتخلّصوا من الخوف والرغبة ، إلا من عظمة الله وسلطانه ، وزهدوا في كل منة وفضل إلا في فضل الله وإحسانه . فما أروع نظام الإسلام ، وما أعظم حكمته في ما شرعه من الأحكام ! إذ اعتنى بالجانب الاجتماعي بما وضعه من وسائل التجميع والتأطير لجماعة المؤمنين ، وأضفى عليها من الصبغة الدينية ما يجعلها مستكنة في أعماق العقيدة ، متصلة في سلوك الفرد المسلم محدّدة بمواقيتها زماناً ومكاناً ، ترافقه في رحلة عمره شبراً بشراً بليل ونهار في صلاة الجماعة ، ثم ذراعاً بذراع في صلاة الجمعة ، ثم باعاً فباعاً في صلاة العيدين ، ثم يأتي هذا المؤتمر السنوي العظيم في عرفات ليتوج تلك اللقاءات في أشرف بقعة باركها الله ، وقدها بنور وحيه وأكرم رسله . ونظراً لما لهذا الملتقى العظيم من الأهمية الحيوية في الأمة الإسلامية ، فقد اعتبره الرسول ﷺ الركيزة الأولى في مناسك الحج عندما قال : «إنما الحج عرفة»⁽¹³⁾ هكذا بصيغة الحصر بحيث لا يكون له بديل ولا كفارة من دم أو غيره يمكن أن تجبره . فما هو السرّ الذي يكمن في هذا المنسك دون غيره جعله بهذه المرتبة العظمى عند الله ؟

لقد حاول العلماء أن يكتشفوا ذلك من خلال مشاهداتهم أو ممارساتهم ، فكانت لهم في ذلك آراء تختلف نضجاً وعمقاً . ولكنها تتفق كلها في تجسيد مبدأ الوجدانية لله ، والأخوة في الله والمساواة

(13) تقدم .

بين خلق الله في الكرامة الإنسانية ، وأن لا تفاضل إلا بالصالح والتقوى . وليس من الصدفة إطلاقاً في حياة الرسول أن تكون آخر وصاياه الجامعة لأمته في خطبة الوداع ، تذاع على مسمع الدنيا من فوق ذلك المنبر ، وهو يشهد الناس في كل مرة أنه قد بلغ ، ثم يشهد الله على ذلك مبالغة في التأكيد والتوثيق . وهذه الحقيقة التاريخية من سيرة الرسول العظيم ، وهو يستوفي بيانه لمناسك الحجّ قولاً وعملاً ، تستوقفنا لنستخلص منها العبر والدروس لحاضرنا الذي يشكو من علل التمزق والفرقة ، ويترنح يمينا ويسرة مع الرياح الهوج التي تعصف به من الداخل والخارج ، وهو لا يجمع أمره على رأي يعصمه ، ولا على منهج يسلكه ، حتى لكأن القرآن على غيره نزل ، وكأن الرسول ما نصح له ، وكأن دينه لم يكتمل . ألا فالعجب لأمة تجوع والله قد بسط بين يديها خير الموائد ، وتظمأ والله سخر لها أطيب الموارد . فلو أنها وعت بحق ما بينه رسول الله في خطبة الوداع ، لأغناها ذلك عن كل الموثائق والدساتير ، أو استمسكت بعروة الله الوثقى لعصمتها من كل العواصف والأعاصير . لكن شياطين الإنس والجنّ زينوا لها الغرور والفتون ، فعشيت أبصارها عن نور الحق المبين : ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾⁽¹⁴⁾ يقول أحد العلماء العارفين بأسرار الشريعة في شأن هذا المؤتمر السنوي بعرفات يقول : «ليس لنا اجتماع سنويّ عامّ يجب أن نهرع إليه من جميع الأقطار بحكم الدين ، لا بحكم المطامح وبدعوة الأشخاص سوى هذا الاجتماع . ألا وإن مسارعة القادر من أرباب الرأي والحزم إلى حضوره

(14) سورة الحج ، الآية 46 .

لمعالجة شؤوننا ، لأجدى على الإنسانية كلها من مسارعتنا لحضور مؤتمرات لا يعرف من آثارها سوى الإجتماع على موائد الطعام والشراب ، وسوى تبادل التحيات وكلمات القدوم والإنصراف ، ثم يكون الإنفصاف ، والظلم هو الظلم ، والإعتداء هو الإعتداء . إن تشاورنا في إعداد العدة لإبراز المنافع التي يقتضيها الإعتصام بحبل الله ، لأجدى بكثير على ديننا من إعداد العدة لمعرفة قوانين الغرب وفلسفة الغرب ، وآداب الغرب وتقاليد الغرب . فنحن لا نجنى من وراء ذلك كله قبل تركّز حياتنا سوى ضياع شخصيتنا وفقدان الثقة بأنفسنا ثم قال أيضاً : ليس من المعقول - والله الحكمة البالغة - أن يكون القصد من هذا الإجتماع مجرد أن يطوف المؤمنون بالبيت ، وأن يقفوا بعرفات ، فإن الله يعبد في كل مكان ، ويجب الداعي في كل مكان : ﴿ والله المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثم وجه الله ﴾ (15) وإنما الحكمة كما أفصحت عنه آية الحجّ ، أن يجتمع الموحّدون في زمن واحد ومكان واحد ، ليشهدوا منافع لهم وليزيلوا تفنّهم : أما المنافع فسيبيلها ما ذكرنا ، وأما إزالة التفنّن ، فليس الأمر فيها قاصراً على إزالة أدران البدن من شعث السفر ، وإنما هو تنبيه بالأدنى على الأعلى ، وهو درن القلب ، ودرن العقل ، ودرن الجماعة . فدرن القلب وقوعه تحت ضغط الشهوة والهوى ، ودرن العقل وقوعه تحت ضغط الشكوك والأوهام ، ودرن الجماعة وقوعها تحت سيطرة الجهل والفقر ، وتحت سيطرة الغاصبين والإنتهازيين (16) فلا ترككم - أيها الأخوة المؤمنون - مع هذه الفقرة الغنية بمعانيها تتملّون جمالها ، وتتجاوبون مع توجيهاتها والله الحمد أولاً وآخراً .

(15) سورة البقرة ، الآية 115 .

(16) هو الشيخ محمود شلتوت من كتابه القيم الإسلام عقيدة وشرعية ، ص 155 - 156 .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي صدق وعده ، وأعزّ جنده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده فقال جلّ من قائل : ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ ، إِذْ هَمَّا فِي الْغَارِ ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ، لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾ (17) سبحانه من مدبّر حكيم ، يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء . نحمده ونستعين به ، ونستغفره ونتوب إليه ونصلّي ونسلّم على رسول المجتبي . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى مصاييح الظلماء . وبعد : فيا أمة الإسلام . شاءت حكمة الله أن تكون مناسك الحجّ في الشهر الأخير من السنة القمرية تتويجاً للمبّرات التي يقوم بها المسلم خلال الدورة الفلكية ، ومن شأنها أن تحوّل كل الفوائد التي يجنيها المسلم بعمله الدؤوب ليصل ما بينه وبين خالقه ، وهو مشدود إلى حظوظه الدنيويّة في كَرّ وفرّ وإقبال وإدبار . حتى إذا تهيأت له أسباب الدنيا والفرار إلى الله في ظرف زمنيّ معلوم . وهو في إحرامه وتلبّيته وسعيه وطوافه يعبر عملياً عن مفهوم عقيدته ، بأنّه راجع إلى الله كما خلقه أول مرة ، وأن الحياة الدنيا بكل متاعها وزينتها ما هي إلا معبر يطول أو يقصر ويتسع أو يضيق ، حسبما قدره الله تعالى في علمه لكل مخلوق . وليس من الصدف العشوائية في حياة الرسول أن تكون هجرته في أول شهر قمريّ من السنة ، في محرّم الحرام ، تلك الهجرة المباركة التي تحمل هي الأخرى في طيّاتها معنى الفرار إلى الله والهجرة إليه من فتنه الدنيا وفتنة المال والولد . هذا المعنى الكريم الذي يتفق في

(17) سورة التوبة ، الآية 40.

مفهومه مع معاني الرحلة إلى بيت الله الحرام ، قد بينه رسول الله لأصحابه ، وهو ينمي في نفوسهم ملكة الإخلاص والوفاء ، الله فيقول : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »⁽¹⁸⁾ . وبهذا التلاحم والتناسق في المقاصد الشرعية النبيلة ، وبفهمنا العميق لهذه الأسرار الربانية في ما شرعه من الأحكام ، ندرك عظمة هذا الدين ومدى فعاليته في تربية الخلق لو أنهم كانوا يفقهون . فإذا كانت هجرة رسول الله هي البداية الميمونة لظهور هذا الدين وتركيز أسسه وإعلاء أركان دولته ، بكل ما يتطلبه ذلك من جهد ومشقة ، وصبر وثبات ، فإن حجة الوداع في السنة العاشرة كانت هي النهاية السعيدة لإكمال البناء وتشيدته وفق ما أراده مصممه تبارك وتعالى ، وقد أمتن علينا في ذلك بإتمام نعمته وحصول رضاه .

وما بين البداية والنهاية يكمن سر النجاح أو الخيبة للإنسان ، ويصاحبه التوفيق أو يمنى بالخذلان . وهو في كل ذلك مرهون بكسبه مأخوذ باختياره . غير أن المؤمن الوفي هو ذلك الذي يعي هذه الحقيقة ، ويوطن نفسه على أن يعيش في إطارها امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾⁽¹⁹⁾ .

اللهم اجعلنا ممن آمن بك فهديته ، وتوكل عليك فكفيته ، وسألك فأعطيته . اللهم اجعلنا هداة مهتدين ، لا ضالين ولا مضلين . آمين والحمد لله رب العالمين .

(18) رواه البخاري ومسلم .

(19) سورة الأنعام ، الآية 162 .

حلبة السباق إلى الخيرات

الحمد لله ذي العزة والجلال ، سبحانه المنزه عن صفات النقص والمتفرد بالكمال . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أحسن كل شيء خلقه ثم هدى . ونصلي ونسلم على أكرم الرجال وأحسنهم خلقاً وخلقاً سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . فيا أيها الأخوة المؤمنون . يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ياذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير﴾ (20) تجيء هذه الآية الكريمة من سورة فاطر بعد التنويه بشأن القرآن الكريم بأنه الحق المبين المنزل من رب العالمين . يقول المولى جلّ وعلا : ﴿والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ، إن الله بعباده لخبير بصير﴾ (21) هذا الكتاب الكريم أورثه الله تعالى هذه الأمة المصطفاة أمة محمد ﷺ والتعبير القرآني يوحي بكرامة هذه الأمة على الله ، إذ أصبحت بوراة الكتاب محلّ اصطفاء من لدن الحكيم الخبير ، وهي بذلك تتحمّل أثقل الأمانات وتتولّى أضخم التبعات ، ولكنها في ميزان التقييم لا تكون على درجة سواء . إذ يقول تعالى : ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل

(20) سورة فاطر ، الآية 32 .

(21) سورة فاطر ، الآية 31 .

المتقين كالفجار ، كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب» (22) فكانت تلك المراتب الثلاثة الواردة في الآية الكريمة هي المعيار الدقيق لقياس همم الرجال ، في نبل القصد والإخلاص في الأعمال . قال بعض العلماء في بيان معنى الآية الكريمة (23) الظالم الذي ترجح سيئاته على حسناته ، والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته ، والسابق من رجحت حسناته على سيئاته .

أيها الاخوة المومنون : إن ملاحظة هذه المراتب في صفوف الناس لا تقتصر على العبادات والقربات ، بل هي شاملة لكل الأعمال في المجالات المادية والروحية ، تنتظم الناس في مسعاهم لدنياهم وآخرتهم . والإسلام في كل توجيهاته يريد أن يرفع المؤمنين إلى المراتب العليا ، ويحفزهمهم إلى درجات الكمال القصوى ، التي تستلزمها مسؤولية القيادة ، وتتطلبها المزية الممنوحة لهذه الأمة بشهادة الله : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ﴾ (24) ويقول تعالى في مواطن البأس : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ (25) ويقول : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ (26) ويقول جلّت قدرته : ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ﴾ (27) ويقول الرسول ﷺ : « المؤمن

(22) سورة ص ، الآية 28 - 29 .

(23) هو الإمام حسن البصري - رحمه الله - .

(24) سورة آل عمران ، الآية 60 .

(25) سورة آل عمران ، الآية 60 .

(26) سورة الأنفال ، الآية 60 .

(27) سورة الحديد ، الآية 21 .

القويّ أحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»⁽²⁸⁾ ويقول في مجال الإنفاق : «اليد العليا خير من اليد السفلى»⁽²⁹⁾ إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي تستحثّ همّة المسلم لأنّ يتبوّأ عليا المراتب . ويستشرف ما عند الله من البرّ والحسن . وحتى في تضرّعنا بالسؤال إليه يأمرنا رسول الله بأن نسأله تعالى الفردوس الأعلى . ولقد استطاع الرعيل الأول من صحابة رسول الله أن يتبوّأوا هذه المكانة الرفيعة في الشجاعة والإقدام ، وفي الكرم والإيثار ، والتضحية والفداء . وهم على تلك القوة والشدة والتماسك أمام أعدائهم ، لا تفتنهم الغلبة ولا يغويهم النصر ، فيستعلي بعضهم على بعض ، أو يتطاول أحدهم على أخيه ولو كان في أشرف منزلة من رسول الله . فأين نحن من هذه الأخلاق الرفيعة ؟؟ وهل تتوق نفوسنا أن تسبق إلى الخيرات ، وتطمح لأعلى الدرجات ؟ أم أننا اليوم في منزلة دونها العالمون كالتي يقول عنها الإمام البصريّ في مدح رسول الله :

رتب تسقط الأماني حسرى دونها ، ما وراءهنّ وراء كلا ! .. أيها المؤمنون . إننا لو أنصفنا أنفسنا لأدركنا أن أغلبنا اليوم ما يزال يتمرّع في الحضيض ، تحتوشه العلل والأدواء ، ويثقله الوهن والإعياء ، حتى لا يكاد أحدا يسمو إلى المرتبة الوسطى إلا بحبل من الله وحبل ومن الناس . ذلك لأننا أفرطنا في ظلم أنفسنا ، ولم نستجب لدعوة ربنا في السباق إلى الخيرات . وذلك - لعمرى - لا يتأتى للضعاف المهازيل ولا يتاح للبخیل الجبان . ولو أننا في مسعانا نتقي شحّ أنفسنا لوفّرنا الكثير من الأموال ننفقها في مجالات نهضتنا ، وندعم

(28) رواه مسلم .

(29) رواه مسلم والبخاري .

بها كيانتا ، ونبرز تراثنا وحضارتنا ، ولصرفنا كثيراً من الجهود نبذلها في ملء الفراغات التي تتسبب عن الخطأ في التقدير ، وسد الثغور التي نجمت عن سوء التسيير ، ويالها من فراغات مهولة ، وثغور هامة مشلولة ، تندرنا بسوء المصير ، أو تجرّ إلينا الهموم والأتعاب على أقلّ تقدير .

أنظروا - أيها الناس - حوالىكم في مستقرّكم ومشواكم ، أو في متقلّبيكم ومسعاكم ، ماذا تشاهدون وماذا تسمعون ؟ هل من هنيء رضي بما أعطاه الله ، أو خليّ لا يسمع الناس تذرّره وشكواه ، أو شجيّ لا ينفكّ عن همّه وبلواه ؟ .. كلّ غلبت عليه شقوته فلا يكاد ينفلت من إसार نفسه ، حتى لكأننا أطفال مدللون ، فقدوا الرعاية الكريمة ، بين أحضان الأسرة الرحيمة .

كفانا - أيها الناس - من التواكل واللامبالاة ، فقد شبننا عن الطوق واشتدت سواعدنا ، وإن أزيد من ربع قرن في مسيرة أمة ابتعثت من جديد ، وافتكت حقها بالنار والحديد ، لهي فترة كافية للتربّص والتكوين ، لتعقبها فترة العطاء والإبداع ، بتسخير كل الطاقات المتوفرة وبالإعتماد على النفس .

أيها الأخوة المؤمنون : إن الله تعالى قد تفضّل علينا بنعم كثيرة ، وأعطى لنا متسعاً وفضلاً في البعض منها تربو على ما نحتاج إليه في شؤوننا الخاصّة ، فحرام علينا أن نبخل بذلك الفضل على مجتمعنا وأمتنا وهي تشكو من الأزمات ، وتعاني من الضوائق والمعضلات .

وقديماً قال زهير بن أبي سلمى :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله

على قومه يستغن عنه ويذم

فإن المجتمع المسلم لا يقوم إلاّ على التعاون والتكافل ، وعلى

التضحية والإيثار . ويا ما أروع ذلك التصوير من رسول الله وهو يرسم الصورة المثالية لذلك المجتمع المنشود إذ يقول : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»⁽³⁰⁾ فكان أيها المسلم من السباقين إلى الخيرات ، لا يقتصر عملك على الواجب المفروض من حقوق ربك أو حقوق نفسك وأهلك ، ففي مجال التطوع والتنفل ما تستطيع أن تتبوأ به أعلى المراتب وتنال به أطيب الذكر عند الله وعند الناس . يقول الرسول ﷺ : «كلكم عيال الله ، وخيركم عند الله أنفعكم لعياله»⁽³¹⁾ فكم حق التطوع من خدمات جلّى لهذا المجتمع الفاضل قديماً وحديثاً . ولقد درج أسلافنا - رحمهم الله - على هذه السنة الحميدة ، منذ أن وطئت أقدامهم هذه التربة الطيبة . وهيلم تفتح لهم صدرها ولم تفسح أحضانها إلا بعد جهد جهيد وعرق صبيب في واد غير ذي زرع أخصبه بعد أن رَوّوا تربته بدمائهم ودموعهم . قلبوا الطرف حيث شئتُم تجدوا معالم حضارة أصيلة استمدّت مبادئها من دين الله الحنيف وأسست نظمها على أحكامه وتوجيهاته من أدنى مراتب الإيمان وشعبه في إماطة الأذى عن الطريق إلى ذروة سنامها من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فنحن وإن كنا ما نزال نتمتع برصيد من هذه التربية المثلى والنشأة الفضلى - بحمد الله - فإننا نرجو من وراء ذلك مظهراً . نرجو من الأجيال الصاعدة أن لا تنسيهم مستجدات الأنظمة الحديثة التي فتحو أعينهم عليها ، وأن لا يقعدهم الترف والنعيم عن تذكر تلك الظروف العصيبة التي عرفتها المنطقة من قرون

(30) رراه الترمذي في باب الآداب .

(31) لم أجِدْ له سنداً بهذا النص : بل روى ابن ماجه في باب الزهد ، أسرع الخير ثواباً البرّ وصلة الرحم .

عديدة ، حتى إقترن اسم الصحراء لدى الكثير من مواطنينا في الشمال ،
اقترن بمعاني الوحشية والتهيه ، والفقر والجهل والفوضى .
فلتتعهدوا - أيها الشباب - هذه المرافق الوديعة بحملاتكم التطوعية
لترميم ما انصدع ووصل ما انقطع ، وتزيين ما صوّحته عوامل الزمان ،
والله معكم ولن يترككم أعمالكم . اللهم اجعلنا من السابقين بالخيرات ،
المتعاونين على البر والتقوى إنك أنت البر الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي رفع الخلق بعضهم فوق بعض درجات ، وسخر لهم
من فضله الأرض والسموات . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله .
أما بعد : فيا أمة الإسلام . أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، فإن
الحريص اليوم على أمانة الدين كالقابض على الجمر ، إن أخطأته فتنة
أحتوشته فتن أخرى . فلا تستخفكم مشبطات المخذولين ، ولا
تستفزكم لمزات البخلاء الأنانيين . وقديماً كان في الناس الحسد
والبغض والشحّ والبخل . فقد حذر الله المؤمنين من أولئك المنافقين
فقال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ فِي الْصَّدَقَاتِ ، وَالَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (32) فليس المهمّ حجم ما تبذله من معروف قلّ أو كثر ،
وإنما الأهمّ عند الله أن تتعود النفع لغيرك ، وأن توطّن نفسك على

(32) سورة التوبة ، الآية 79 .

خدمة الصالح العام عن رضى وطواعية وقناعة ذاتية حتى تنال أجر المحسنين . يقول ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق »⁽³³⁾ فامنح من جهدك - أيها المؤمن - في المجال الذي تستطيعه ، ولا عليك مما يقوله الناس ، وحسبك من عملك ثواب الله الذي لا تضيع عنده الودائع ، فإن البر لا يبلى والأجر لا ينسى .

اللهم طوّع نفوسنا إلى ما فيه مرضاتك . اللهم إنا نعوذ بك من الجبن والبخل ، ونعوذ بك من العجز والكسل ، ونعوذ بك من الهم والحزن ، ونعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . اللهم حسن عاقبتنا في الأمور كلها ، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، واسترنا في الدنيا وارحمنا في الآخرة يا أرحم الراحمين ، والحمد لله ربّ العالمين .

(33) رواه مسلم .

إرهاصات العام الجديد لسنة 1991 م

﴿تبارك الذي جعل في السماء بزوجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾⁽³⁴⁾ أحمدته حق حمده ، وأشكره على جزيل نعمه ، ولا أحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، خلق السماوات والأرض بالحق ، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل . برأ الخلاق وقدر الآجال وكل شيء عنده بمقدار . ونصلي ونسلم على من قضى حياته كلها في جهاد وكفاح ، وكان بهديه خير قدوة لمن أراد الفوز والفلاح . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الدين وأهل التقوى والصلاح . أما بعد :

فيا أيها الإخوة المؤمنون : لقد شيعنا عاماً مضى من حياتنا بخيره وشره ، واحتفلنا مع العالمين بعام جديد لا ندري ما الله قاض فيه ، وإن كنا نرجو من الله العليّ القدير أن يطلعه علينا بالصحة والعافية ، وبالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام . كأني بالكثير منا ، وهو يستنطق الأحداث الجارية في الساحة الوطنية⁽³⁵⁾ ، يردد مع المتنبّي انطباعاته الشجيّة وهو يقول :

عيد بأيّة حال عدت يا عيد بما مضى ، أم لأمر فيك تجديد إلى أن يقول :

(34) سورة الفرقان ، الآية 61 - 62 .

(35) يشير الخطيب إلى الأحداث المتسلسلة التي تتسم بطابع العنف والإرهاب بعد استقالة رئيس الجمهورية ، وإلغاء الانتخابات التشريعية في مطلع سنة 1991 .

ماذا لقيت من الدنيا ؟ وأعجبه أنى بما أنا شاك منه محسود نعم ! .. قد تتابنا مثل هذه الخواطر ، ونحن نستقبل هذا العام الجديد بقلوب يعتصرها الأسى والكمد ، ونفوس يكاد يستحوذ عليها الإحباط والقنوط ، مما نشاهده ونسمعه من تماسك أهل الكفر والإلحاد ، واتحادهم وتحالفهم على باطلهم ، ومن تخاذل أهل الحق والإيمان ، وتنافرهم واختلافهم على كتاب ربهم وسنة نبيهم ، ولو لا أن اليأس من روح الله ليس من شيم المؤمنين الصالحين ، لانجرنا مع هذا التيار وملأنا الدنيا صراخا وعويلاً ، ولكننا نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، لأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، وهو الذي يجير ولا يجار عليه ، نستمد منه العون والسداد ونستهديه ونستعطفه إنه رؤوف بالعباد .

أيها المؤمنون : ما أصدق قول رسول الله وهو يصف رحلة العمر لكل إنسان إذ يقول : «أيها الناس ! إن لكم معالم فانتخوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتخوا إلى نهايتكم ، فإن العبد بين مخافتين : أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل به ، وأجل باق لا يدري ما الله قاضٍ فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار»⁽³⁶⁾ هكذا يرسم رسول الله خط السير للإنسان في رحلة عمره ، وهو ينتقل من البداية إلى النهاية في طريق ذي معالم خطها ربّ الخلائق حتى لا تضلّ ولا تشقى ، فهي إذا استرشدت بتلك المعالم بلغت نهايتها السعيدة

(36) عن منهاج الصالحين باب «خطب الرسول» ، ص 880 .

المرتضاة يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿فإِذَا يَأْتِيَنكُم مِّنِي هَدًى
فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْقَىٰ وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي
فَإِن لَّهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى﴾ (37) فإذا كان
على العاقل البصير أن يتزوّد لكل رحلة ينويها مهما قصر مداها أو
تهيأت أسبابها ، فإن رحلة العمر أخرى بالتزوّد التامّ وأدعى للإستعداد
الكامل ، لأنها نهاية إلى أغوار الأبدية وبلوغ إلى دار القرار . فلنستمع
إلى وصايا رسول الله ، وهو رائدنا إلى جنة الخلد - بإذن الله -
وحاديننا إلى الفوز برضوان الله .

أولاهما : أن تقوم بعملية التقويم في كل مرحلة قطعناها حتى نتبيّن
مواقع أقدامنا ، فلا نخطئ معالم الطريق ، ثم نفعل ذلك في حذر
وإشفاق مخافة أن تقع في غرور التزكية لأنفسنا . والله تعالى يقول :
﴿فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن أُتْقَى﴾ (38) وهكذا المؤمن
الصادق في كل ما يقوم به من المبرّات ، وما يتقرّب به إلى الله من
أنواع الطاعات ، فهو يتأرجح بين الخوف والرجاء في مظان القبول أو
الرفض مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ
وَجَلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (39) فهو وإن حالفه التوفيق والرشد
في ما مضى من عمره ، فإنه لا يدري قضاء الله في ما بقي ، لأن كل
خطوة يخطوها هي مظنة للإنزلاق ، وكل لحظة يزيد بها قد تطوّح به
إلى الأعماق : ﴿وَلَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ (40)

(37) سورة طه ، الآية 123 .

(38) سورة النجم ، الآية 32 .

(39) سورة المؤمنون ، الآية 60 .

(40) سورة هود ، الآية 43 .

وهكذا يتنامى الحسّ الديني في نفوس المؤمنين حتى : ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (41) .

ثانيها : وبما لهذه الحساسية المرفهة في مراقبة الله من أثر في سلوكنا ، فإن العبد المؤمن يأخذ من نفسه لنفسه ومن دنياء لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، ذلكم لأن الدنيا تعتورها الأضداد وتتناوبها المتناقضات . من شدة ورخاء ، وسعة وضيق وعسر ويسر . وهي كما قال الشاعر العربي :

ألا إنما الدنيا نضارة أيكة إذا اخضرّ منها جانب جفّ جانب
هي الدار ما الآمال إلا ودائع عليها وما اللذات إلا مصائب
غير أن الإنسان مجبول على الحرص والأمل ، سريع الإنفعال والغضب إذ خلق من عجل ، فهو يريد أن يمدّ له في حبل الأجل .
وقلّما يفكر في لحظات متعه ولذاته ، في ما يعقبها من الأوجاع والآلام ، وما ينجرّ عنها من النصب واللغوب . وفي غمرة لهوه ومتاعه يسهو ويغفل ، وقد لا ينتبه إلا على قوارع الزمان وفواجع المصائب والمحن . ولذا فإن الرسول الكريم يوصينا بالحيطة والحذر ، وبالتأهب والإستعداد ، بأن نوطن أنفسنا على ملكة التزوّد والإدّخار ، لما يمكن أن يفاجئنا به اختلاف الليل والنهار . فنذخر من راحة أنفسنا لأنفسنا ، ومن دنيانا لآخرتنا ، ومن شبابنا لكبرنا ، ومن حياتنا لمماتنا ، لأننا مؤمنون بأن هذه الحياة التي نتم بها والموت الذي يعقبها ، إن هما إلاّ النشأة الأولى في خلقنا تتلوها النشأة الآخرة التي هي دار القرار . يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ

(41) سورة الأعراف ، الآية 201 .

ولعب ، وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴿(42)﴾
 أي هي حياة لا موت فيها . فإذا وازن المسلم بين فترات حياته بأن
 يذخر لهذه من تلك ، فإنه يقيم بذلك عملية التكامل التي تضمن له
 العيش الرغد والحياة الطيبة . وبالتالي تنسدّ تلك الفجوات التي يمكن
 أن ينفذ منها الشيطان ليفسد عليه دينه أو يخدش مروءته وكرامته
 وصدق الله مولانا العظيم ، إذ يعد عباده الأوفياء بذلك فيقول : ﴿ومن
 عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة
 طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (43) فكأن
 أيها المؤمن ملتزماً بدينك ، متبعاً لنصائح رسولك ، ففي ذلك جبل
 النجاة وصمام الأمن لحياتك : ﴿والباقيات الصالحات خير عند
 ربك ثواباً وخير أملاً﴾ (44) .

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ، وله الحمد في
 الأولى والآخرة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن
 محمداً عبده ورسوله . اللهم صلّي وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحابه
 الأبرار وبعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون ، لتأمل قول ربنا تبارك
 وتعالى وهو يعرض علينا آية من آيات قدرته وعظمته إذ جعل الشمس

(42) سورة العنكبوت ، الآية 64 .

(43) سورة النحل ، الآية 97 .

(44) سورة الكهف ، الآية 46 .

والقمر دائبين ، وجعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً . ولنتدبر كيف صيغ هذا التعبير القرآني البليغ في ذكر هذه الآية الكونية وتعليل ذلك بأن هذا الجعل نافع لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ، فنلاحظ أن الله تعالى علّق الإذكار والشكران بإرادة الإنسان ، تلك الإرادة التي تنبعث عنها دوافع العمل وهو في أتمّ حرية واختيار لما يأخذه وما يدع . فلا جبرية إذن في العمل ولا تعارض في ما سبق على ذلك من علم الله ، كما لا مقدح في عدل الله يوم الجزاء . يقول تعالى : ﴿يَنْبَأُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ، بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾⁽⁴⁵⁾ فهذه هي الحقيقة التي نطق بها القرآن الحكيم وهو حجة الله علينا واضحة الأحكام ناصعة البيان . فحذار من العجز والكسل ومن التواكل والتواني ، فالعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني . هداني الله وإياكم لخالص الإيمان ، وجنبنا وساوس الشيطان ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان : ﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾⁽⁴⁶⁾ آمين والحمد لله ربّ العالمين .

(45) سورة الفیامة ، الآية 13 - 14 - 15 .

(46) سورة آل عمران ، الآية 08 .

مولد الهدى والنور

06 ربيع الأول 1413 الموافق لـ 04 سبتمبر 1992 .

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليخرج الناس من الظلمات إلى النور . نحمده تعالى أن هدانا للإيمان ، وشرح صدورنا للإسلام وهو الحليم الغفور . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المسداة من لدن حكيم خبير . صلى الله عليه وعلى آله وصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم النشور . أما بعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون .. ها هي ذكرى ميلاد رسولنا تعود إلينا بعد أن دار الزمان دورته . ولكن بأية حال تعود علينا ؟؟ .. أتجد منا العظة والإعتبار ونحن جادّون في أن نعيش أبعادها ، ونستجلي أسرارها ، ونستنير بهداها ؟ أم أننا في غفلتنا سادرون ، وفي تصارع أهوائنا متخاذلون ؟ فلا وربك لا نستفيد من هذه الذكريات الخالدة بهذه المظاهر الشكلية من زينة ومتاع ، أو تلذذ بالسماع ، بينما أرواحنا خاوية وأفئدتنا هواء . نولع بالملهيات المادية ، ثم لا يكون لنا بعدها عاطفة حيّة ولا حسّ واعٍ . فليس مهماً أن نتغنى بأمجاد الرسول وعظمة شخصيته ، ولا أن نستقضي دقائق سيرته الطاهرة لمجرد المعرفة والتباهي بها في مجالات الحديث والكلام ، أو التفاخر لمجرد الإنتماء والإنساب ، ورسولنا ﷺ يقول : «من أبطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه»⁽⁴⁷⁾ ويقول : «ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر

(47) رواه مسلم .

في القلب وصدقته العمل»⁽⁴⁸⁾ وإنما المهم أن نجعل من الرسول وسيرته قدوة لسلوكنا الفردي والجماعي ، وهو عبد الله يستوعب ما يوحى إليه ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، أو هو زوج كريم يتمتع ويؤنس ، ويكفل وينفق ، ويربي ويوجه ويصبر على لأواء الحياة ونوازع العشرة ، أو هو أب رحيم يسيل رقة وحناناً ، ويفيض حباً ورحمة ، غير مشغول بأولاده عن ذكر الله ، ولا مفتون بمودتهم في حق من حقوق الله وهو القائل : «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» وفوق هذه التبعات كلها هو زعيم الأمة مدبراً أميناً ، ومشرعاً بأمر الله حكيماً ، وحاكماً بما أنزل الله عدلاً رحيماً . ثم هو القائد النبوي والبطل المغوار عند اشتداد البأس ، لا تبطره نشوة النصر ، ولا تستفزه القوة والغلبة عندما تسكن قعقعة السلاح وينجلي غبار المعركة فيقول لأصحابه : «رجعنا نعم ! من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» .

نعم ! وأي جهاد هو أعظم من جهاد النفس وكبح أهوائها ؟؟ يقول تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾⁽⁴⁹⁾ ويقول : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾⁽⁵⁰⁾ .

أيها الأخوة المؤمنون .. في مثل هذا الظرف العصيب الذي تجتازه الأمة الإسلامية ، وبلادنا خاصة ، يجب علينا أن نحقق أساليب التوعية الهادفة ، وأن نختار الأدوية الشافية لعللنا الكثيرة . فهذا هو المصحح

(48) رواه البخاري .

(49) سورة الشمس ، الآية 9 - 10 .

(50) سورة النازعات ، الآية 40 - 41 .

الكاملة التي تضمن لنا الشفاء التام إذا ما جئناها على ثقة واطمئنان ، ودخلناها عن قناعة وإيمان . فليحرص كل منا على كشف دائه حتى يختار لعلته الدواء الشافي ، ويغير من أسلوب حياته بما يضمن له الصحة والعافية .. ولعلّ أخطر داء أصبنا به اليوم ، وظهرت أعراضه في العديد منا وتنذر عدواه بشرّ مستطير هو داء الأثرة والأنانية ، بحيث أصبح الكثير من الناس لا يعيش إلّا في حدود نفسه ، ولا يفكر إلّا في منفعه الذاتية ، مقبلاً على اللذات العاجلة ، حريصاً على جمع المال كيفما كانت طرق كسبه ، شغوفاً بمتاع من الدنيا قليل ، وهو في ذلك مأخوذ بالنظرة المستعلية فيزداد لهفة ويطلب المزيد . وفي فورة نشاطه الدنيويّ ، وإلحاح الرغبات وشدة الحرص ينسى الأمانة ويخيس بعهد الله ، ثم يكون لما سوى ذلك من الحقوق أضيع . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، ومن أراد الآخرة وسعي لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ، كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك ، وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ (51) .

لقد بعث رسول الله ﷺ وفي الناس جاهلية ممقوتة ، تكرّس في حياتهم تلك الصفات الدنيئة من الأثرة والكبرياء ، وحبّ المال والثراء ، والتعاضم بالأجداد والآباء ، بحيث تستحيل معها الحياة الاجتماعية المتوازنة التي تضمن ذلك القدر الضروريّ من التوادد والتراحم والتعاون بين الناس . أما الإيثار ونكران الذات ، فتلك مراتب عليا في الحياة

(51) سورة الإسراء ، الآيات 18 - 19 - 20 .

الاجتماعية ، تستلزم حظاً كبيراً من التربية الإيمانية ، ورصيдаً عظيماً في الأصالة الحضارية ، لا تنالها الشعوب ، إلا بمعاناة ولغوب ، وعلى أيدي رؤاد عظماء ، ممن تنجبهم ظروف الحياة أو تختارهم عناية السماء ، يرسمون لمسيرتها الطريق الصحيح . وقد منّ الله على خلقه بهذا الرسول الكريم ، فكان الرحمة المهداة للعالمين ، يحدو بهم نحو طريق الفلاح ، ويضع خطط التغيير والإصلاح ؛ محفواً برعاية الله ؛ مستنيراً بهدى الله ، لا يأخذ الناس في دعوته بالمكر والحيلة ولا بالعنف والإكراه . بل ترقق بهم ولان لفظاظتهم ، وخاطبهم بما يفهمون وهو يعلم ويرشد ، أو يناقش ويجادل . يتألف قلوبهم ويسلس قيادهم على ما كان بين طبقات مجتمعهم من فروق ، لا يراوغ ولا يتملق وهو المبعوث بموازين الحق ، لم يسمح الله له حتى في ذلك النوع من الأسلوب الذي تفرضه الديبولوماسية في بعض المواقف التي يتواطأ فيها الناس على اعتبار المنزلة الاجتماعية التي تكون على أساس الفقر والغنى ، أو على أساس الحسب والنسب . فنزلت سورة «عيس» في عتاب شديد ، وتوجيه رشيد ؛ فلم يتذمر الرسول ، ولم يجد في نفسه شيئاً نحو عبد الله بن أم مكتوم ، بل زاده حباً وإجلالاً وهو ييشّ كلما لاقاه ويقول : «مرحباً بالذي عاتبني الله من أجله» ، فلا عجب أن يتحلّى رسول الله بهذا الخلق العظيم ، وهو في مقام القدوة ، رسول من عند الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور . فقد أدّى الرسالة وبلغ الأمانة وترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها . فلم يبق للناس حجة على الله ، ولا عذر للإنسان إذا ما ضلّ وتاه . وإنما هي الإنتكاسات التي تفرزها شرور النفس وغلبة الهوى ، وإيحاءات الشياطين لهذا الإنسان إذا ما ضلّ وغوى . لأن الأمراض النفسية أشدّ

وبالآ على الإنسان مما يصيب به بدنه من آلام وأوجاع ، ولأن النفس هي الجوهر المكنون في ذات الإنسان لا يملك سرّها إلا الله : ﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا نَفُوسُكُمْ ، إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ ، فَإِنَّه كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ﴾ (52) ولحكمة الإبتلاء والإمتحان جعلها الله تعالى قابلة للتقوى والفجور ، متقبّلة للتزكية والتدسية . يقول تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (53) والمؤمن مهما أنس من نفسه قوة على الصلاح والتقوى ، فهو يرجو من الله الثبات واليقين ، وقوة الإرادة والصبر المكين ، ولا يتأتى له ذلك إلا إذا كان قانتاً لله آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربّه . فليس من العفوية ولا من الصدفة في حياة الرسول ﷺ أن يردّد لربّه هذا الدعاء في جوف الليل وهو قائم يصلي فيقول : «اللهم آت نفسي تقواها وزكّها فأنت خير من زكّاها ، أنت وليها مولاهّا» . فإذا كان الرسول وهو المتعبّد المتهجّد العارف بربّه ، يلتمس منه هذا المدد الروحاني في ضراعة وبكاء ، وفي جوف الليل حيث لا صخب ولا ضوضاء ، فما بالنا - نحن الغافلين الساهين - لا نتعرّض لهذه النفحات ، ولا نلتمس هذه القربات ؟؟ ونريد بعد ذلك أن ننفلت من مصايد الشيطان ، ونكون عن الفتنة والشرور في معزل وأمان ؟؟ كلا ! أيها الأخوة ونحن منغمسون في أوضار الدنيا إلى الأذقان ، وتمرّغون في مستنقع الشيطان ، وما يدري أحدنا أيستطيع الفكّك من أغلاله ، لينيب إلى ربّه ويغتسل من أوساخه وأوحاله ، أم يكون من الذين قال الله فيهم : ﴿ قُلْ إِنْ

(52) سورة الإسراء ، الآية 25 .

(53) سورة الشمس ، الآيات السابقة .

الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الخسران المبين ﴿٥٤﴾ ألا فلنفتنهم هذه الفرص المباركة للتناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، لأن القلوب تقسو إذا طال بها الأمد ، وما عندنا ينفذ إذا لم نطلب من الله المدد . فاللهم إليك نشكو قساوة قلوبنا فألنّها ، وطول آمالنا فحقّقها ، وكثرة ذنوبنا فاغفرها ، فنعم المشكّو أنت . ارحم ضعفنا وارحم تضرّعنا وأعطنا لمسكنتنا ، ولا تحرمنا لقلة شكرنا ، واغفر لنا ما قدّمنا وأخّرنا وأسررنا وأعلنّا ، وما أنت أعلم به منا ، إنك على كل شيء قدير . يا أرحم الراحمين .

(54) سورة الزمر ، الآية 15 .

من إحياءات غزوة أحد في سورة آل عمران

حمداً لله العليّ القدير ، نحمده ونستعينه إنه مولانا ونعم النصير ،
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونصلي ونسلم على البشير
النذير سيّدنا محمد على آله وصحبه التابعين لهم بإحسان إلى يوم
الدين . أما بعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون .. يقول المولى تبارك
وتعالى : ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات
والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون في السراء والضراء ،
والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب
المحسنين﴾ (1)

صدق الله العظيم

ولعلّ من المفيد أن نعرف موقع هاتين الآيتين الكريمتين مما
يكتنفهما من الآيات السابقة واللاحقة من سورة آل عمران ؛ لتبيّن
مناسبة هذه التوجيهات الإلهية للجماعة المسلمة . فبعد التمهيد لأحداث
غزوة أحد بقوله تعالى : ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين
مقاعد للقتال والله سميع عليم﴾ (2) وقبل الدخول في تفاصيل
أحداثها المؤلمة إبتداء من قوله تعالى : ﴿قد خلت من قبلكم سنن
فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ (3) إلى

(1) سورة آل عمران ، الآيات 133 - 134 - 121 .

(2) سورة آل عمران ، الآيات 133 - 134 - 121 .

(3) سورة آل عمران ، الآيات 137 - 140 - 141 .

آخر السورة . قبل ذلك يوازن الله تعالى بين معركتي بدر وأحد للتأمل في الأسباب والنتائج ، ومعرفة مواطن القوة والضعف وأسبابهما . فتجيء هاتان الآيتان الكريمتان على منهجية القرآن في أسلوب الترغيب والترهيب والوعد والوعيد . تجيئان في الظرف المناسب لأحداث غزوة أحد بكل ما خلفته في صف الجماعة المسلمة من بلبلة واضطراب وما تركته من جراح وآلام .

يجيء هذا الوصف الفخم الشيق للجنة في تصوير سعتها ورحابتها مقابل ذكر النار التي أعدت للكافرين . وليس إلا طاعة الله ورسوله صاماً للنجاة منها ، في بحبوحة من رحمة الله ورضوانه . وما دام الإنسان فرداً أو جماعة مستهدفاً لشور النفس ومكايد الشيطان وفتنة الدنيا ، فإن طلب المغفرة من المولى تبارك وتعالى سيظل المبتغى الأعز للمؤمن في كل أحواله مهما يبلغ من الجدة والمثابرة في العبادة والتقوى . وللعبادة مجال واسع في المنهج الإسلامي ، غير أن أشدها أثراً وأكثرها نفعاً في التربية الفردية والجماعية ، هي تلك التي تتصل بالعلاقات البشرية في تأطير الروابط الاجتماعية وتركيز ضوابطها ، حيث تتصارع الأهواء ، وتتعارض المصالح ، وتتباين الطروحات ؛ فتكون الجماعة في أشد الحاجة إلى سند روحي قوي لضمان التكافل والتعاون والتآزر . ولذا جاء الأمر الإلهي بصيغة المفاعلة للإسراع في حلبة السباق والمنافسة في طلب المغفرة واللجنة .

ووصف المتقين المستحقين لثواب الجنة ، له إحياءاته الخاصة في هذا المقام بحيث لا يغنى عنه وصف آخر كالمؤمنين أو الصالحين سلباً . لأن التقوى هي خير ما يتزود به المؤمن عندما يتقرب إلى مولاه بأنواع الطاعات والقربات ، كما أن للتقوى مواصفات كثيرة في

القرآن . فهي وإن اختلفت في التركيز على بعض الأخلاقيات والسلوكات حسبما يقتضيه السياق ، فإنها تتفق في إكمال الصورة النموذجية لما يجب أن يكون عليه المؤمن في تصوّره الإعتقادي ، وسلوكه الشخصي في علاقته برّبّه ، وعلاقته بأهله وبالناس أجمعين . ولعلّ التنويه بهذه الصفات الأربع للمتقين ، هو الذي يناسب المناخ الذي عاشته الجماعة المسلمة في معركة أحد وهي تعاني من الكآبة والحزن ، إذ مسّها القرّح وذاتت مرارة الخيبة بعد أن أراها الله ما تحبّه من النصر والنجاح . فليست النفوس البشرية مهما زكا طبعها وخلص إيمانها على حدّ سواء في مواجهة التحديات ، والصبر والثبات عند اشتداد البأس . فشهوة المال وحبّ الأهل والولد كانت وما تزال بعض النفوس صرعى بهما ، لا تنفكّ عن إسارهما مهما نصّح لها الناصحون ، ومهما نظقت الآيات والنذر ، كما أن المبالغة في حبّ الذات نعمى وتسمّ فلا يبصر معها نور الحق والعدل ، ولا يسمع صوت العقل . وهكذا تتضمّن الأوصاف الأربعة المختارة للمتقين في هذا المقام ما يجب أن يتجلّى به المسلمون من الأخلاق الرفيعة ، وهم في موقف الإبتلاء والتمحيص . يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ ، وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (4) .

وإذا كان من سنة الله في خلقه ، ومن طبيعة الحياة أن تكون الأيام دولا بين الناس ، فإنه لا مناص لأمة عظيمة أن تتعرّض في

(4) سورة آل عمران ، الآيات 137 - 140 - 141 .

مسيرتها التاريخية إلى ضوابط وأزمات ، تفضى أحياناً إلى صراعات ومواجهات ، وقد لا تملك لدوافعها رذاً ، وقد تكلفها تضحيات جساماً ، وجراحات وآلاماً ، ولكن التضحية بالنفس والمال مهما غلا ثمنها ، فإنها ستظل الضريبة المقدسة للعزة والكرامة ؛ إذ هي بمثابة النار التي تنفي الخبث عن المعدن الصافي ، لأن الحياة المترفة الناعمة تضعف الوازع الخلقي والديني ، وتميت الحسّ الإجتماعي والوطني . يقول المولى تبارك وتعالى في دعاة الهزيمة والخذلان : ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَتَلْنَا هَٰؤُلَاءِ ، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ ، وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾⁽⁵⁾ والتضحية في قيمتها الخلقية تعني التخلّي عن حظوظ النفس في ما حَبَّبَ إليها من المتاع الماديّ أو المعنويّ . فالشجّ بالمال والبخل به في الضوابط والأزمات جريمة يعتبرها الإسلام من الشرور التي تلقى إلى التهلكة ؛ فلا عجب أن يكون البذل والإنفاق أولى الصفات المميّزة للمتقين . وحتى تكون هذه الصفة سجية في النفوس المؤمنة ، لم يطلب منها الإنفاق في حالة الوفرة والغنى فحسب ، بل حتى في حالة الضيق والعسر ، لأن مناط القبول هو حسن النية والقصد . فربّ منفق للقناطر المقنطرة ليس له عند الله ولا في الآخرة نصيب ، إذا كان يفعل ذلك رياء الناس يقول تعالى : ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لِحُومَهَا وَلَا دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾⁽⁶⁾ . والقاعدة العامة التي وضعها الإسلام في مجال الإنفاق هي محص العدل

(5) سورة آل عمران ، الآية 154 .

(6) سورة الحج ، الآية 37 .

والإنصاف لكل فئات المجتمع إذ يقول تعالى : ﴿لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ (7) ولئن كان الإنفاق في السراء والضراء أدلّ على التقوى فإنه أنفع لخلق الله من سائر الأعمال الأخرى ، وأضن لمناعة الأمة ووحدتها ، سيما في حالة الضوائق والشدائد . ولذا نجد بإزاء هذا الوصف المميّز للمتقين ، ذلك التنديد في آخر السورة بأولئك الذين يغفلون أيديهم فلا ينال أحد منهم رعداً يقول تعالى : ﴿ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرّ لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ (8) . اللهم إنا نعوذ بك من الشحّ والبخل ، ونعوذ من الهّمّ والجزن ، ونعوذ من العجز والكسل ، ونعوذ بك من غلبة الدّين وقهر الرجال.

الخطبة الثانية

حمداً لله الغني الحميد ، الفعّال لما يريد . ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ، يعزّ من يشاء ويذل من يشاء وهو الله الواحد القهار . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحابه والأخيار وبعد : فيا أمة الإسلام ، أوصيكم ونفسي بتقوى الله ، وأن تجتهدوا في التحلي بهذه الأوصاف المميّزة للمتقين ، فإنها مزكاة من ربّ العالمين . فقد رأينا

(7) سورة الطلاق ، الآية 07 .

(8) سورة آل عمران ، الآية 180 .

كيف أن بذل المال يحارب الشره والطمع ، وينفي الشحّ والبخل ، ومع ذلك فإن النفس البشرية لأمارّة بالسوء ، عندما تستفزها دواعي الغضب ، وليس لها رصيد من التقوى ، ولا وازع من دين . ولذا كانت الصفتان الثانية والثالثة من مستلزمات التقوى وهما كظم الغيظ والعفو عن الناس . ولا شك أن الغضبية من الغرائز التي أودعها الله في الإنسان ليدافع بها عن كرامته ويحافظ على حقوقه ، ولكنها قد تنفلت أحياناً عن ضوابط العقل فتهلك وتدمر . وليس إلاّ تقوى الله رادع وضابط لها في حدّ الاعتدال . ولا خير في كظم غيظ يورث البغضاء ويترك الأحن ، أو يجزّ إلى حقد دفين ، تبقى ناره تحت الرماد لتتحين الفرص للإنتقام . بل النبل والشهامة في النفوس العظيمة يدعوان إلى التسامح والعفو ، حتى تتخلّص من هواجس الشرّ ، وتستأصل جذور الكراهة والمنابذة والخصام ، فإذا بأواصر المودة ترجع إلى سالف عهدا ، وإذا بالعواطف الجموحة تسكن وتلين . فكم يجد العفوّ السموح من أصدقاء حوله يفيضون عليه من مودّتهم وتقديرهم ، ويتقربون إليه في كل أحوالهم ، وهم يرون فيه السند الوفيّ والناصح الأمين . وصدق الشاعر إذ يقول :

وليس كثراً ألف خلّ وصاحب وإن عدوّاً واحداً لكثير
أيها المؤمنون : لا يقف الإسلام بأتباعه عند هذا الحدّ المعقول من الأخلاق الإجتماعية الكريمة ، وهي في حدّ ذاتها قيم ثمينة ﴿وما يلقاها إلاّ الذين صبروا ، وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم﴾⁽⁹⁾ بل يرفعهم إلى المستوى الأسمى الذي يضمن لهم محبة الله ، إلى مستوى الإحسان ، إلى ذلك الموقف الإيجابي في دفع إساءات الناس ومواجهة

(9) سورة فصلت ، الآية 35 .

شورهم . فإن يكن كظم الغيظ والعفو عن الناس حداً لنزيف الجرح ، فإنه في حاجة إلى البلمس الشافي لإزالة آثاره ودرء مضاعفاته . وليس إلا الإحسان دواء للقلوب الجريحة والنفوس الكلى . وقد اعتبر بعض المفسرين أن الإحسان شامل للصفات الثلاث الأولى ، ولكن الذين اعتبروها صفات أربعاً أعمق إدراكاً لأسرار القرآن ؛ فكان المقصود - والله أعلم - أن لا يكتفي المؤمن بذلك الموقف السلبي الذي يتمثل في كظم الغيظ والعفو عن الناس ، لأن ذلك أدنى ما يطلب منه في الواجب الديني والتكافل الإجتماعي ، وبالتالي فهو المستوى الأدنى في باب الإحسان الذي يورث محبة الله . وقديماً ندد الشاعر العربي بمجتمع يكتفي فيه الناس بذلك المستوى فقال :

إننا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال
وترجيحاً للمعنى الأزيد الذي في الإحسان تتأمل قول الله تعالى :
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾⁽¹⁰⁾ فإن تكرار اسم
الموصول «الذين» في كل من الصفتين ، يدل على أن بينهما اشتراكاً
في بعض المعاني الفاضلة التي تجلب معية الله ، وأن للإحسان معنى
أزيد في مجال خشيته وتقواه . ولا أكمل من تعريف رسول الله لهذه
الصفة وهو يردّ على سؤال جبريل - عليه السلام - أخبرني عن
الإحسان : «فقال ﷺ . الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن
تراه فإنه يراك» . جعلني الله وإياكم من المتقين المحسنين ، الذين
يكرمهم بمعيته في الدارين ، ومن أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون : ﴿ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من
لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾⁽¹¹⁾ آمين والحمد لله رب العالمين .

(10) سورة النحل ، الآية 128 .

(11) سورة آل عمران ، الآية 03 .

الليالي من الزمان حبالى

أنطوت السنة الهجرية 1410 هـ الموافقة لأواخر جويلية 1990 م ولا تزال أحداث الشغب في بريان يتصاعد دخانها من حين لآخر . وكان الجمهور في ميزاب ما بين ثابت الجأش صبور ، وبين مضطرب هيوّب . وأصبح من واجب الدعاة تهدئة العواطف وتذكير الناس بسنن الله في خلقه . فكان هذا الخطاب ليوم الجمعة 27 ذو الحجة 1410 هـ الموافق ليوم 20 جويلية 1990 م .

﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً ﴾⁽¹²⁾ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون . ونصلي ونسلم على أشرف خلق الله سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون . تمرّ الأيام وتكرّر الليالي والمرء بينها خيال سار ، قد لا يلتفت إلى الماضي ولا هو يذكر ، ويعركه الحاضر فلا يعتبر ولا يزدجر . ذلك لأن الإنسان مفتون بالأمانى العاجلة ، مسلوب العقل بلهيب الحرص وبريق الآمال : ﴿ إن الإنسان لربّه لكنود ، وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحبّ الخير لشديد ﴾⁽¹³⁾ .

(12) سورة الفرقان ، الآية 61 .

(13) سورة العاديات ، الآيات 6 - 7 - 8 .

فها نحن نودّع سنة من أعمارنا ، تنطوي في خضمّ الزمان بخيرها وشرّها . ونستقبل سنة أخرى هي فاتحة العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجريّ ، ولا يعلم إلاّ الله تعالى ما تحمله إلينا من مفاجآت الدهر ومخبّآت الغيوب ، ونحن لا نملك حيالها إلاّ أن نرضخ لحكم العزيز الجبّار ، ونذعن لما يجريه علينا من صنوف الإبتلاء والإختبار ، ثم نحاول في مجال طاقتنا إدراك ما وراء ذلك من الأسرار . غير أن واجب الإيمان برّبنا يدعونا في كل حالة أن نسأله اللطف في القضاء والصبر عند البلاء ، حتى لا تطيش بنا الأحلام ولا تنزل الأقدام حين تلبس علينا السبل ، وتتشابك المصالح والأهواء . وما هذه المعالم الزمنية التي وضعها المشرّع الحكيم ، أو التي يضعها الإنسان لذكريات أمجاده إلاّ محطات للإستجمام ، ومراصد مراقبة لما تفرزه الأيام . واللييب الحازم هو من لا تفوته التفاتة إلى الماضي أو استشراف إلى المستقبل ، حتى يبنى حاضره على أسس من الخبرة والتجربة ، ومن معطيات الواقع الذي يفرض نفسه أحياناً ولا يدع مجالاً لتخطيط الإنسان وتوقعاته .

أيها الأخوة المؤمنون .. شاءت حكمة الله تعالى أن نمتحن في إيماننا وعزيمتنا لسنتين متتاليتين ، وأن نمسّ في أعزّ رموزنا من مؤسساتنا ومشائخنا ، فكانت تلكم الأحداث الأليمة في القرارة وبرّيان ، ومن قبل كانت مثيلاتها في أرجاء ميزاب ، حين نجم قرن الفتنة وعصفت رياح الظلم والطغيان . وذلك من تقدير العزيز الحكيم ، وهو اللطيف لما يشاء إذ يقول وهو أصدق القائلين : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ، وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (14) . ولعل الذين نشأوا منا

(14) سورة البقرة ، الآية 155 - 156 .

في حضن النعيم - وهم غالبية شباننا - يجدون في ذلك غضاضة ،
ويرون في تنكر الأيام غرابية ، لأنهم ما تعرّضوا في حياتهم لشمس ولا
زمهرير ، ولا اعتادوا الفزع في صراخ ولا نفير . بل يحسبون الحياة لذة
ومتاعاً ، وشبعاً ورياً واضطجاعاً ، ويظنون فرصة العمر للعب واللهو ،
والأوقات مجال فسيح للسفاسف واللغو . وما دروا أن الحياة طبعت
على كدر ، وأن الله تعالى خلق الإنسان في كبد . وأنه على قدر إيمانه
يبتلى ، لأن الآخرة خير له من الأولى . يقول تعالى : ﴿أَيَحْسَبُونَ
أن ما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات ، بل
لا يشعرون﴾⁽¹⁵⁾ . كلا ! .. أيها الأخوة المؤمنون . يجب علينا أن
نصحّ مسارنا وأن نتبيّن مواقع أقدامنا في نهج الصالحين من آبائنا
وأجدادنا ، من يوم جمعوا أمرهم واختاروا جماعتهم في موكب
التاريخ ، والتزموا بكتاب الله وسنة رسوله منهاجاً للسير ومعياراً
للحق ، وتحّدوا بذلك قوى البغي والطغيان ، ممن أغراهم الملك
والسلطان إثروا الخنوع الخذلان ، وهم في ذلك الاختيار يقدرّون ما
في ذلك من التضحيات الجسام ، وما يتعرّضون إليه من مكاييد الأشرار
واللئام ، ويرسمون خطتهم الحكيمة على هدى رسول الله وصحبه
الأخيار ، حتى يضمنوا لأجيالهم البقاء والإستمرار ، لا تقعد بهم صروف
الأيام ، ولا تغلّ من عزيمتهم القيود والحواجز ، وهم يفرّون بدينهم من
الفتن ، ويضربون في أرض الله طلباً للحرز الآمن والمنتجع الخصب .
وهنا نحن أولاء نرتع في المرباع الآمنة التي خلفوها وحافظوا عليها
بالدماء ، والدموع . ولكننا نريدها اليوم مفروشة بالديباج والحرير ،

(15) سورة المؤمنون ، الآية 55 - 56 .

مزدانة بالزهور والورود ، ونكون فيها كمن وصفه الشاعر بقوله :
خطرات النسيم تجرح خـدَّ يه ، ولمس الحرير يدمي بنانه
كلاً أيها الأخوة ، تباً لنعيم يमित في شباب الأمة خصائص
الرجولة ، وسحقاً لتربية تذكى ظواهر الميوعة والفسولة ، وبعداً لجيل
لا تثار حفيظته إذا جدَّ الجدَّ ، ولا يستجيب إذا دعا داعي الشهامة
والمجد . وإلاً فما هذا الذي يربكنا من هذه الأحداث ، إذا قسناها
بماضي الأحوال والمحن التي واجهها أسلافنا وهم ينازعون البقاء ،
ويلتمسون أدنى مستوى من العيش في قرار مكين ؟ وما هذا الذي
يفزعنا من هذه الإضطرابات العابرة وهي ضربة لازب لكل من يريد أن
يخوض غمار المنافسة ويركض في حلبة السباق ؟ أم نريده غنماً بلا
غرم ، وحسناً ودود بلا مهر . كلا ! ..

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن طلب الحسناء لم يغلها
المهر⁽¹⁶⁾

أيها المؤمنون .. إننا لا نتمنى أن نفقن في أرواحنا وأموالنا
وأعراضنا ، ولا يفعل ذلك من أوتي السداد في الرأي ، بل من واجب
المؤمن أن يسأل الله العافية في كل حين ، ويطلب منه الحفظ
والرعاية في كل مسلك وسبيل . غير أننا إذا استكرهنا لمواقف لا تحمد
عقبها ، ومخاطر لا نملك متأها ، فسوف نواجهها بكل صبر وأناة ،
ونتحمّل أذاها بحيث لا نساوم في مقدراتنا ، ولا نقبل المزايدة في
مقوماتنا ولو كره الظالمون ، لأننا على يقين بأن الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون ، وأن العاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على
الظالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(16) البيت لأبي فراس الحمداني .

الخطبة الثانية

الحمد لله الكبير المتعال ، يمهّل ولا يهمل . يغفل عن ذكره الظالمون وهو شديد المحال . ونشهد أن لا إله إلاّ وحده لا شريك له وهو القائل في محكم كتابه الكريم : ﴿آلَمْ ، أَحْسِبَ الْإِنْسَانَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ، أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (17) ونصلي ونسلم على سيّدنا محمد خير الصابرين والشاكرين ، كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الهداة المهتدين . أما بعد : فيا أيها المؤمنون .

تنطوي هذه السنة الهجرية عما قليل ، ونحن مقتنون في ديارنا ، غير أن فترات المحن والمصائب مقدرة في علم الله ومحدودة بأوقاتها ، ولا يملك اللبيب أزاءها إلاّ أن يراجع حساباته مع الله ومع خلقه عساه أن يكون قد فرط في جنب الله ، أو أساء إلى خلق الله ، فجاءت تلك المحنة نذيراً من الله ينبّهه ويدعوه إلى تدارك نقصه وتلافى تقصيره يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ (18) ويقول : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ (19) .

أجل ! ليس لنا من ملجأ إلاّ إلى الله ، ولا ملاذ إلاّ بقوته وعدله فهو

(17) سورة العنكبوت ، الآيات 1 - 2 - 3 - 4 .

(18) سورة النساء ، الآية 79 .

(19) سورة الشورى ، الآية 30 .

ربّ المستضعفين وملأ المستجيرين يقول تعالى : ﴿أمن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله ؟ قليلاً ما تذكرون﴾ (20) فليكن قدوتنا رسول الله في هذه المحن ، إذ دعا ربّه في عام الحزن عندما توالى عليه النكبات ، يمحّصه الله بها ويعده لتحمل أعظم الأمانات ، ولنردّد هذا الدعاء الخاشع معتذرين إلى ربنا مبتهلين : «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين . أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي . إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهّمني أم إلى عدوّ ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي . ولكن عافيتك أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل عليّ غضبك ، أو يحلّ عليّ سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلاّ بك» (21) .

اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، كن لنا ولياً ونصيراً ، يا نعم المولى ويا نعم النصير . اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا ، اللهم لا تسلّط علينا شرّ خلقك من لا يخافك ولا يرحمنا . اللهم اجعل هذه السنة الجديدة فاتحة عهد سعيد لعبادك المؤمنين ، وشرّاً ووبالاً على الباغين الظالمين . اللهم اجمع كلمة المسلمين ، واشف صدور قوم مومنين ، وأيد بنصرك المبين كل مجاهد لتكون كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا . يا أرحم الراحمين ، والحمد لله ربّ العالمين .

(20) سورة النمل ، الآية 62 .

(21) سيرة ابن هاشم ، ج 02 ، ص 61 .

نحن وأولادنا

1413 - 1992

الحمد لله القائل في محكم كتابه الكريم : ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾ (22) سبحانه لاشريك له ، عظمت منته علينا إذ خلقنا ورزقنا وكفانا وأوانا . ونصلي ونسلم على سيّدنا محمد أمثل الأزواج وخير الآباء القائل : «خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي» (23) . صلى الله عليه وعلى آله وصحابه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين . أما بعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون : آباء وأمّهات وأبناء . السلام عليكم جميعاً ورحمة الله تعالى وبركاته . إننا لا نشكّ أن تعاليم الإسلام جاءت رحمة للعالمين ، وأن أحكام شريعته تناولت كل المجالات الحيوية في شؤون الخلق ، ترتبها وتنظمها بحيث تتكامل وتتعاون في إحكام الروابط وتوزيع الحقوق والواجبات بوسطية واعتدال لا تبخس حق الفرد ، ولا تهمل مصلحة الجماعة ؛ ابتداء بتنظيم شؤون الأسرة في القاعدة الهرمية للمجتمع إلى قمته في تحديد مهام الدولة وضبط علاقاتها الداخلية والخارجية . وقد امتنّ الله علينا بأن خلق لنا من أنفسنا أزواجاً لنسكن إليها ، وجعل بيننا مودة ورحمة ، وقدّر بهذه الزوجية الشرعية المقدّسة ، أن تتناسل الخلائق البشرية لتعمر الأرض إلى ما يشاء خالقها ، فأودع في غرائزنا ذلك الحبّ الفطريّ لأولادنا

(22) سورة النحل ، الآية 72 .

(23) رواه البخاري وابن ماجه والدرامي .

وأفاض قلوبنا عطفاً وحناناً ورحمة بهم ، حتى نضحّي من أجلهم ونرعاهم لأنهم فلذات أكبادنا . فهم ريحانة البيت وزينة الحياة ، يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾ (24) وحتى يكونوا بحق امتداداً لذكرنا في الصالحات والمكرمات فقد حملنا ربنا مسؤولية تربيته وتشيئته على البرّ والتقوى فقال جلّ من قائل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ﴾ (25) . فيجب علينا أن نكون لهم قدوة صالحة ونحن نسلك بهم سبيل الرشاد ، ونوفّر لهم المناخ الصحيّ لأبدانهم ، والزاد الروحي لنفوسهم ، والتهديب القويم لسلوكهم وأخلاقهم . وبعده هذه الأسباب المادية والمعنوية التي تتطلبها العملية التربوية في البيت والمدرسة ، فهناك وراء الأسباب الظاهرية التي في متناول أيدينا ، ألطاف ربانية خفية لا يملكها إلا خالق الأسباب ، يضلّ لها من يشاء ويهدي من يشاء . وما كان لمؤمن ولا مؤمنة أن يغتبرا بوسائلهما ، أو يستغنيا عن طلب العون والتوفيق من الله الذي يعلم السرّ وأخفى . فقد علّمنا في القرآن الكريم كيف ندعوه ونستمدّ منه العون في تحملّ هذه المسؤولية فنقول : ﴿ ربّنا هبّ لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ (26) ونقول : ﴿ ربّ هبّ لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾ (27) ولنا في أيّنا إبراهيم - عليه السلام - أسوة حسنة في

(24) سورة الكهف ، الآية 46 .

(25) سورة التحريم ، الآية 06 .

(26) سورة الفرقان ، الآية 74 .

(27) سورة آل عمران ، الآية 38 .

التماس الهداية من ربّه لذريته عند رفعه لقواعد البيت داعياً مولاه :
﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا
مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذَرِينَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ (28) .

وتقديراً لهذه الأمانة العظمى الملقاة على عاتقنا في كفالة هؤلاء
الأولاد ، فإن الله تبارك وتعالى ، رفع حق الوالدين على أولادهم إلى
أعلى ذروة في سلم الحقوق الاجتماعية بحيث لا يدانيها إلا حق الخالق
المعبود . وجعل رضاهم مناط رحمته وملتزم قبوله ورضاه فقال جلّ
من قائل : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ،
إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ، فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفًّا
وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَاخْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِ
مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (29) .

أيها الأخوة المؤمنون .. إنه لمن المؤسف جداً أن نجد بعض
الوالدين لا يقدّرون هذه المسؤولية ، ولا يولون لها ما يجب من
الإهتمام والتقدير ، إذ يتركون أولادهم للتشرد والضياع ؛ وفي أحسن
الأحوال يدفعون بهم إلى الطيش والنزق بسوء معاملتهم ، وحتى الذين
يبذلون مجهودهم في التربية والرعاية ، فإنهم ليسوا على مستوى
متقارب في أساليب التربية والتوجيه ، إذ الكلّ يقضي بما ألفه في تربية
أولاده ، فمنهم من ينشأ على الميوعة والدلال ، والبعض يأخذ بضوابط
الأخلاق والدين ، والبعض الآخر ينغمس في التفسّخ والانحلال . فلا
عجب أن نلاحظ في أولادنا ذلك التباين في مستويات التفكير
والطباع ، وفي شبابنا ذلك المزيج من السلوكيات المتناقضة في

(28) سورة البقرة ، الآية 128 .

(29) سورة الإسراء ، الآية 23 - 24 .

العلاقات الإجتماعية والتوجّهات الثقافية . وبالتالي فإن المنظومة التربوية - على ما تبذله من جهود مضنية - لم تستطع بعد أن تصهرهم في بوتقة واحدة لأنها هي الأخرى تشكو من نقص في التكوين ، واضطراب في المناهج التربوية ، وضعف في القدوة الصالحة .. فقد واكبت هذه الأجيال لمدة أربعين عاماً في المجال التربويّ ، فخرجت بهذه الإنطباعات المؤسفة التي يقرّها واقعنا المرتبك .. ولا نلتصم لذلك حلاً إلاّ من أصول حضرتنا وكنوز تراثنا . فهذا رسول الله ﷺ يركّز على أساس البناء التربويّ عندما أوصى بأن تنطلق العملية التربوية من البيت على أيدي الوالدين ، ويعتبر أن الولد من كسبهما فيقول : «كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يمجّسانه أو يهودانه أو ينصرّانه» . وقد يبرّر الكثير من الآباء والأمهات تقصيرهم في التربية المثلى لأولادهم بضعف إمكانياتهم المادية سيما في توفير المسكن المحترم ، ويحلّو لهم إلقاء هذه التبعة على أجهزة الدولة وعلى مؤسساتها العمومية ، حتى لكان البيت عندهم هو مجرد معمل للتفريخ ، ثم يرمون أولادهم لتحضنهم الشوارع والساحات ، أو الملاجيء والمستشفيات . فلبئس ما جنوا به على أمتهم ولبئس ما كانوا يفعلون . وإلّا فأين الأمر الإلهي في وقايتهم من النار ؟ وأين هي قداسة تحمّل الأمانة في هذا المضمار ؟ - تلك - لعمري - هي الخسارة العظمى في أغلى كنز ندّخره للملمات ، وفي خير زاد نعدّ للمكرّمات . والله تعالى يقول : ﴿قُلْ إِنْ خَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانِ الْمَبِينِ﴾ (30) .

(30) سورة الزمر ، الآية 15 .

أيها الآباء .. أيتها الأمهات ! .. لن يفيدنا في هذا المجال أن نردّد الشكوى ونندم من وضعيّة أولادنا وشبابنا ، أو نلتمس المبررات لعجزنا وتقصيرنا ، لأن مفتاح الحلّ بأيدينا في تقويم إعوجاجهم وتهذيب سلوكهم ، ولا تعوزنا الأساليب التربوية الحديثة في دراسة نفسية الطفل ، وتتبع نموّه البدني والنفسي والعقلي . فإن لدينا من الأساتذة الإخصائيين في هذا الفن من نستطيع الاستفادة منهم ومن توجيهاتهم في ندوات ولقاءات وحصص إعلامية ، إذا ما توفرت لدينا الإرادة والعزيمة في تدارك نقصنا والخروج من هذا التخلف الذي نعانيه ، وإن لنا من توجيهات ديننا ومن تراث أسلافنا ما لو درسناه واستفدنا من إرشاداته لحصلنا على النتائج المرجوة في هذا المجال . قال رسول الله ﷺ : «رحم الله والداً أعان ولده على برّه»⁽³¹⁾ وقال : «من حق الولد على الوالدين أن يحسن أدبه ويحسن اسمه» . وفي الرفق والحنان على الولد روي عنه ﷺ أنه بينما كان يصليّ بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد ، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر . فلما قضى صلاته قالوا : قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، فقال : إن ابني قد ارتحلني ، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته⁽³²⁾ فأبى حنان وأبى عاطفة تغمر قلب رسول الله حباً لولده حتى وهو ساجد لربّه يؤمّ الناس ؟ إنه القدوة الحسنة لأولئك الذين لا يشعرون نحو الولد بأدنى رفق ولا حنان ، كذلك الذي رأى رسول الله وهو يقبل ولده الحسن فقال : «إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال ﷺ إن من لا يرحم لا يُرحم»⁽³³⁾ .

(31) ، واه النسائي والحاكم .

(32) رواه البخاري .

(33) أنظر : إحياء علوم الدين للإمام الغزالي باب حقوق الولد ، كتاب آداب الأئمة ، ص 1038 .

أي نعم ! .. إنهم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ، وبهم نصول على كل جليلة إذا نحن أدبنا لهم حقوقهم كاملة ، كما تدعو إليه الفطرة السليمة ويأمر به الدين الحنيف .

أيها المؤمنون .. هذه بعض كنوز تراثنا الخالد في هذه القضية الحساسة ، وتلك هي بعض الدعائم التي تركز عليها التربية الناجحة . فليتبين كل منا مقدار ما يسهم به في هذا المجال ، وليقيم مدى تحمله لهذه الأمانة العظمى في تربية الأجيال . فنحن المسؤولون عن كل انحراف يصيب أولادنا ، وعن كل انزلاق أو تطرف يهدد أمن مجتمعنا بالعنف والإجرام وصدق الله العظيم ، إذ يحذرننا من ذلك ويصف لنا الدواء الشافي في مثل هذه الأوضاع السيئة فيقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدَوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُّوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (34) .

نفعني الله إياكم بهذه التوجيهات الربانية الحكيمة ووفقنا للسمع والطاعة والإعتصام بحبل الله . وأرانا من ذريتنا قرة أعين . اللهم حبِّبْ إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلهم من الراشدين .

(34) سورة التغابن ، الآيات 14 - 15 - 16 .

الخطبة الثانية

نحمدك اللهم يا من خلقتنا ورزقتنا من الطيبات ، وفضلتنا على كثير من المخلوقات . سبحانك أنت المدبر الحكيم . وأنت ولينا فاغفر لنا وأهدنا إلى صراطك المستقيم . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله القائل : «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا لما يطلب»⁽³⁵⁾ . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد : فيا شباب محمد ..

غداً - بحول الله - تحتضنكم المؤسسات التربوية بحبّ وحنان وقد هزّها الشوق إلى لقاءكم ، وستجدون في حضنها كل أسباب الطمأنينة والهناء . وتحبوكم بكل ما لديها من وسائل التربية والتعليم ، فترتعون في رياضها الغناء .. فاستعدّوا - رعاكم الله - فقد دقت ساعة الجدّ ، وانفضّوا عنكم غبار العجز والكسل ، وتزوّدوا في مسعاكم بالعزم والامل ، متأكدين أن من سار على الدرب وصل . والتمسوا بطلبكم للعلم رضی الله في نبل القصد وشرف الغاية أن تصبحوا - بحول الله - حماة للدين والوطن ، هداة مهتدين ، قرة أعين لوالديكم أئمة للمتقين . فهذا رسول الله ﷺ يبشرنا بأن الملاء الأعلى يعدو لطالب العلم أن ييسر الله له الأسباب ، ويذلّل له الصعاب ، ويفتح له من أسرار العلوم مغاليق الأبواب . فلا تستغنوا - أيها الأبناء - بما عندكم من العلم عن صالح الدعاء ، فإن الله هو الغنيّ وأنتم الفقراء . ولا تتمردوا على أستاذتكم ومربيكم فإنهم هم آبائكم الأوفياء . ولكم في كليم الله سيّدنا

(35) رواه أحمد وابن حبان والحاكم ورواه الربيع في مسنده .

موسى - عليه السلام - خير مثال لطالب العلم مع أستاذه العبد الصالح
عندما تواضع بين يديه قائلاً : ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا
أعصى لك أمراً﴾ (36) .

نعم - أيها الأبناء - فإن الصبر نصف الإيمان ، والتواضع خير حلية
للإنسان . فاصبروا وصابروا بالغدو والرواح ، وواصلوا الليل بالنهار حتى
يكتب لكم النجاح ، وبادلوا معلمكم حباً بحبٍ ووفاء بوفاء ، وبروكم
في ما يأمرونكم به ، لأنهم لا يريدون لكم إلا الخير والصلاح .
وقفنا الله جميعاً إلى ما يحبّه ويرضاه . ربّ اجعلني مقيم الصلاة
ومن ذريتي ، ربنا وتقبل دعائي . ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين
يوم يقوم الحساب (37) والحمد لله ربّ العالمين .

(36) سورة الكهف ، الآية 69 .

(37) سورة إبراهيم ، الآيتين 40 - 41 .

تحديد النسل بين الإفراط والتفريط

الحمد لله الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . صلى الله عليه وعلى آله وعلى أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد فيا أيها الأخوة المؤمنون .. إنه من تمام فضل الله علينا أن هدانا سبيله ، وأرشدنا إلى ما فيه صلاحنا ، ورفع عنا الإصر والأغلال التي كانت على الذين من قبلنا فقال عز من قائل : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (38) وقال : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ . غير أن ذلك لا يعني بحال من الأحوال أن تتلاعب بأحكام الدين ، أو أن نحكم أهواءنا في ما نأتي وما ندع من إرشاداته وتوجيهاته ، سيما ما يكون منها في محالات اجتهدات العلماء مما لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة . ولقد وضَّح رسول الله ﷺ الأسس العامة لأحكام الشريعة ، والإطار الذي يحتضنها في الحلال والحرام عندما قال : «إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تعتدوها» (39) وقال : «الحلال بين والحرام بين . وبينهما أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن تركها

(38) سورة البقرة ، الآية 185 .

(39) رواه الحاكم في المستدرک .

فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فيها يوشك أن يقع في الحرام . كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه . ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه»⁽⁴⁰⁾ . ونحن نعلم أن المقاصد العليا للشريعة الإسلامية في مختلف توجهاتها وأحكامها تتمحور حول الكليات الخمس التي حددها علماء الأصول ؛ وفي مقدمتها حفظ النفس ، وحفظ النسل ، فإن قيمة الحياة الإنسانية عند الله عظيمة ، فإحياء النفس الواحدة أو إزهاقها هو عند الله بمثابة إحياء الناس أو قتلهم جميعاً يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾⁽⁴¹⁾ فإذا كان المسلم المخلص يتحرى لدينه أن يقع في الحرام البين مثل القتل العمد للنفس البريئة ، فإنه قد يتسرع أحياناً في الأمور المتشابهة ، فيأخذ بما يتوهمه حكماً شرعياً قاطعاً ، تقليداً أو انجرافاً مع الواقع الذي عمّت به البلوى والله تعالى يقول : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾⁽⁴²⁾ ويقول ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾⁽⁴³⁾ . ومن هذه الأمور المتشابهة قضية تنظيم النسل التي دارت حولها مناقشات ، وعقدت من أجلها مؤتمرات وتعددت فيها آراء العلماء قديماً وحديثاً . وعندما برزت

(40) رواه الشيخان .

(41) سورة المائدة ، الآية 32 .

(42) سورة النحل ، الآية 43 .

(43) سورة النساء ، الآية 59 .

مجلة الأحوال الشخصية في بلادنا إلى الوجود كان من الطبيعي أن تثار هذه القضية على مختلف الأصعدة ، وأن يؤخذ فيها برأي العلماء المحققين ، وتعتقد حولها ندوات لتوعية المواطنين . ولا شك أن الكثير منا رجالاً ونساء قد ارتموا في أحضان هذا التيار ، فأخذوا يتناولون أقراص منع الحمل بدون مبرر ولا أي اعتبار ، كأن الحكم الشرعي المتفق عليه يعطى لنا كامل الحرية والاختيار .

أيها الأخوة المؤمنون .. إن بقاء النوع الإنساني من أول أغراض الزواج الشرعي ، وبقاؤه إنما يكون بدوام التناسل وفي ذلك يقول رسول الله : «تناكحوا تناسلوا ، فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة»⁽⁴⁴⁾ ولكن الشريعة الغراء حين حرّضت على كثرة النسل ، إنماء للأمة ومحافظة على قوتها ، فهي لا تعجبها الكثرة الهزيلة ولا تقيم لها وزناً لأنها كثرة لا خير فيها ، بما تنطوي عليه من عوامل الضعف والإنهيار ولا يتخذ منها النبيء الكريم معتمداً للمباهاة والإفتخار . فقد صح عنه ﷺ أنه قال : « توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟؟ قال : لا بل أنتم كثيرون ، ولكنكم كغثاء السيل . ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة ، وليقذفن في قلوبهم الوهن . قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت»⁽⁴⁵⁾ . وما يكون الوهن المشار إليه في الحديث الشريف إلا عوامل الضعف التي تنخر جسم الأمة من جانبيه الخلقي والخلقي ، فلا شجاعة ولا همّة ولا طموح ، ولا بذل ولا

(44) وجدته بهذا النص ، تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة . فقه السنة ، المجلد

02 ، ص 12 ، باب الزواج .

(45) رواه أحمد وأحمد والدرامي .

سخاء ، ولا صبر ولا فضيلة ، ولكنه العجز والكسل والجبن والبخل والفسولة والميوعة وهي المنبت الخبيث للرزائل والفواحش ، والمعول الفتاك للفناء والإنهيار . ولذا نجد قضية تحديد النسل مما وقع فيها البحث وطال فيها النقاش قديماً وحديثاً ، وكانت موضع خلاف بين العلماء والباحثين ، شأنهم في ذلك شأن كل مسألة تكتنفها اعتبارات مختلفة ، لوضعية الناس أزاءها من جهة ، ولظروف الأمة جمعاء من جهة أخرى .

ومن تمام واقعية الإسلام في تشريع أحكامه ، أن القضايا التي لا تختلف فيها المصلحة باختلاف الأوقات والبيئات ، فإنه ينصّ على حكمه فيها نصّاً قاطعاً لا يقبل التأويل ، ولا يفتح مجالاً للإجتihad والنظر . أما التي تخضع فيها المصلحة للظروف ، فإنه يكل الحكم فيها إلى أرباب النظر والإجتihad في تقدير الصلحة يقول تعالى : ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ (46) . أخذ الله بأيدينا جميعاً إلى ما فيه صلاح ديننا ، ودينانا ، وجعلنا ممن لا يتبع هواه بغير هدى من الله ، ووقفنا إلى ما يحبه ويرضاه .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نستغفره ونتوب إليه ، ونستعين به ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضلّ له ، ومن

(46) سورة النساء ، الآية 83 .

يضل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين . وبعد : فيا أمة الإسلام . لقد أخذت قضية تحديد النسل عناوين مختلفة قديماً وحديثاً وتأرجحت فكرتها ما بين مفرط ومقتصد . ويبدو لنا - والله أعلم - أن الذين عرضوها تحت عنوان : «تنظيم النسل» هم أقرب إلى الاعتدال ومراعاة قواعد الشرع الحنيف ، إذ يرخص للمسلم في تنظيم نسله ، بل يعبره أمراً مرغوباً فيه ، إذا دعت إلى ذلك دواع معقولة ، ويفرضه عند الضرورات المعتبرة .

وأولاهما اعتباراً الخشية على حياة الأم أو صحتها من الحمل أو الوضع إذا اتضح له ذلك عن تجربة أو إخبار طبيب ثقة يقول تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (47) ومن ذلك أيضاً الخشية على الأولاد أن تسوء صحتهم أو تضطرب تربيتهم فقد روى مسلم في صحيحه : أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : «يا رسول الله ، إني أعزل عن إمراةي فقال : لم تفعل ذلك ؟ فقال الرجل : أشفق على ولدها أو قال : أشفق على أولادها فقال رسول الله ﷺ : ولو كان ضاراً لضرّ فارس والروم . ومن الضرورات المعتبرة أيضاً الخشية على الرضيع من حمل جديد . وقد سمى النبيء ذلك بالغيلة أو الغيل - أي الوطء في حالة الرضاع - لما يترتب عليه من حمل يفسد اللبن ويضرّ بالولد فقال ﷺ : لا تقتلوا أولادكم سرّاً ، فإن الغيل يدرك الفارس ويدعثره» (48) وكان ذلك منه حرصاً على قوة الأمة ومناعتها وهو

(47) سورة النساء ، الآية 29 .

(48) رواه أبو داود .

القائل : «المؤمن القوي أحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير» (49) .

وعلى هذه الإعتبارات المعقولة نستطيع أن نتبيّن أن المدة المثلى لتباعد الولادات هي ما حدّده الإسلام لمدة الحمل والرضاع هي ثلاثون شهراً أو ثلاثة وثلاثون شهراً كما ألمح إليه القرآن الكريم .

وإذا كان الإسلام قد أباح للمسلم منع الحمل لضرورات معتبرة فإنه لم يبح بحال من الأحوال أن يجهّظ الجنين بعد تخلّقه ولو جاء من طريق حرام . وقد اتفق العلماء على أن إسقاط الجنين بعد نفخ الروح فيه جريمة قتل أوجبوا فيه الدية كاملة إن نزل حيّاً ، والغرة إن نزل ميّتاً ، والغرة تقدّر بنصف عشر الدية . اللهمّ إلّا إذا ثبت من طريق موثوق به بأن بقاءه يؤدي - لا محالة - إلى وفاة الأم ، فإن الحكم في هذه الحالة يقضى بارتكاب أخفّ الضررين إنقاذاً لحياة الأمّ .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه واتباع أهله ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه واجتناب أهله . وأعدنا أن يشتهه علينا أمر ديننا فنتبع فيه هوانا بغير هدى منك يا أرحم الراحمين .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . والحمد لله ربّ العالمين .

الرحمة في أوسع مجالاتها

الحمد لله ربّ العالمين ، خلق الخلق وكان بهم رؤوفاً رحيماً ، ودبر شؤونهم في معاشهم ومعادهم وكان عزيزاً حكيماً . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أدبه ربه فأحسن تأديبه وحباه فضلاً عظيماً . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً . أما بعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون .

إن من كمال الخلق في الإنسان ، وسلامة قلبه من الآفات ، واستعداده للخيرات والكمالات ، أن يفيض قلبه رحمة وحناناً ، يرقّ لآلام الغير ويأسى لمعاناتهم فيسعى لتخفيفها ، ويتحرّر على أخطائهم فيتمنى لهم الرشد والهدى . لأن القساوة والغلظة انحراف في الفطرة السليمة ، وارتكاس إلى البهيمية البلهاء ، بل إلى تحجّر المادة الصماء . لأن الخالق الرحيم أودع في البهيمة ذلك القدر الضروري من الرحمة تعطف به على ولدها . ألم نسمع القرآن كيف يشبّه القلوب القاسية بالحجارة إذ يقول تعالى في شأن اليهود : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ، وَإِن مِّنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَشْتَاقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ ، وَإِن مِّنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾ نعم ! إن القلوب القاسية لا تندى برشح من رحمة ، ولا تفتّر ببصيص من نور ، لأن أقفالها قد انغلقت يماران عليها من أكدار المعاصي وأدران الآثام . فما حظ هذا

(1) سورة البقرة ، الآية 74 .

الخلق الكريم من إشادة القرآن الكريم به ؟ وما هي مجاله في مخلوقات الله ؟ وآثاره في العلاقات البشرية والروابط الاجتماعية ؟ إن الرحمة بمعناها المطلق وأفقها اللامتناهي هي الصفة الأولى للمولى تبارك وتعالى ، إن رحمته وسعت كل شيء فعمرت الوجود وعمّت الملكوت ، إنه الرحمان الرحيم ، بل جلّ أسائه الحسنى تنضح بهذه الرحمة الشاملة : فهو العفو الغفور ، وهو اللطيف الرؤوف بعباده ، وهو الشكور الحليم ، وهو الوليّ الحميد . تباركت أسأؤه وتقدّست صفاته ، وكل ما في الخلائق من الرأفة والرحمة ، ومن التعاطف والبرّ إنما هو جزء من رحمة الله ، وأثر من برّه وإحسانه ، فأرقّ الناس أفئدة وألطفهم إحساناً أوفرهم حظاً من تلك الرحمة الربّانية الغامرة . وقد علّمنا القرآن الكريم كيف ندعو ربّنا بهذه الصفة الرقيقة الحانية : ﴿رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾⁽²⁾ ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾⁽³⁾ ومن فضل الله ومنته علينا أن بعث الرسول رحمة للعالمين فقال جلّ من قائل : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁴⁾ . فقد عانت البشرية كثيراً بويلات الظلم والجبروت ، حتى كاد المستضعفون تختنق أنفاسهم ويقضى عليهم اليأس والقنوط . فجاء هذا الرسول الكريم ليمسح دموعهم ويخفّف آلامهم ويحيي في نفوسهم الأمل في الحياة الكريمة ، والتعايش في ظلال الفطرة

(2) سورة المؤمنون ، الآية 118 .

(3) سورة الزمر ، الآية 07 .

(4) سورة التوبة ، الآية 128 .

السليمة ، فكان ﷺ النموذج الأعلى في الإنسانية الصالحة القويمة .
والقدوة الحسنة في الأخلاق العظيمة ، حتى قال عنه ربنا - تبارك
وتعالى - : ﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾ (5) وقال : ﴿فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من
حولك﴾ (6) وما كان رسول الله لينفك عن هذه الصفة الكريمة حتى
في أحلك الساعات وأشدّ الأزمات ، بين مكر الأعداء ودسائسهم حين
تغلب على الإنسان سورة الغضب ويشتدّ به الغيظ . فكان ﷺ لا
يجرؤ حتى على الدعاء عليهم بالهلاك ، بل لا يملك إلا أن يرجو لهم
الهداية من الله فيقول : «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» . فلا عجب أن
يسمو الرسول إلى هذا الأفق العالي وهو الترجمان الصادق والنموذج
الإنساني الأمين لأخلاق القرآن الذي جاء من عند الله رحمة وهدى
ونوراً للعالمين . قال تعالى : ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين﴾ (7) وقال : ﴿وإنه لهدى ورحمة
للمؤمنين﴾ (8) .

نعم ! أيها الأخوة . إن البشرية كليلة وعليلة في جاهليتها القديمة
والحديثة . وكم حاول الفلاسفة والحكماء أن يلتمسوا لها الشفاء فلم
يهتدوا حين فرحوا بما عندهم من العلم وسخروا من هدايات السماء ،
وما كان الله تعالى ليذر المؤمنين يعانون من تلك العلل والأسقام ،
ويتخبطون في الضلالات والأوهام ، وهم يجدون في القرآن شفاء

(5) سورة القلم ، الآية 04 .

(6) سورة آل عمران ، الآية 159 .

(7) سورة الإسراء ، الآية 82 .

(8) سورة النمل ، الآية 77 .

ورحمة يتفتأون ظلاله في طمأنينة وسلام . يقول الشهيد سيد قطب - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة : «في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة ، فهو يصل القلب بالله فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن ، ويرضى فيستروح الرضى من الله ، والرضى عن الحياة ، فالقلق مرض ، والحيرة نصب ، والوسوسة داء . ومن ثم هو رحمة للعالمين .

وفي القرآن شفاء من الهوى والدنس ، والطمع والحسد ونزغات الشيطان وهي من آفات القلب ، تصيبه بالمرض والضعف والتعب ، وتدفع به إلى التخطم والبلى والإنهيار ، ومن ثم هو رحمة للعالمين . وفي القرآن شفاء من الإتجاهات المختلفة في الشعور والتفكير ، فهو يعصم العقل من الشطط ، ويطلق له الحرية في مجالاته المثمرة ، ويكفّه عن إنفاق طاقاته في ما لايجدي ، ويأخذه بمنهج سليم مضبوط ، يجعل نشاطه منتجاً ومأموناً ، ويعصمه من الشطط والزلل . وكذلك هو في عالم الجسد ينفق طاقاته في اعتدال بلا كبت ولا شطط ، فيحفظه سليماً معافى ، ويدّخر طاقاته للإنتاج المثمر . ومن ثمّ فهو رحمة للعالمين .

وفي القرآن شفاء من العلل الإجتماعية التي تخلخل بناء الجماعات ، وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنينتها ، فتعيش الجماعة في ظل نظامه الإجتماعي وعدالته الشاملة في سلامة وأمن وطمأنينة . ومن ثمّ فهو رحمة للعالمين»⁽⁹⁾ .

نعم ! أيها الأخوة إنه شفاء وإنه الرحمة المهداة من ربّ العالمين ،

(9) ظلال القرآن ، ج 15 ، ص 356 .

وعد به عباده المؤمنين أن يهديهم للتي هي أقوم ويجنبهم الشقاء والضلال فقال جلّ من قائل : ﴿فَإِذَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ، فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْقَى﴾ (10) فهل نحن في حاجة إلى دليل من واقع الناس نستدلّ به على الأثر الطيّب الذي يحدثه القرآن في النفوس ، وهؤلاء صحابة رسول الله خير دليل في تراحمهم وتواضعهم وتعاطفهم ؟ إن المرء ليعجب لتلك الطباع الجافّة والقلوب القاسية كيف تحوّلت إلى ذلك المستوى الرفيع من الألفة والأخوة والتراحم والإيثار ، كأنها صيغت صياغة جديدة فلم يبق لجاهليتها من آثار . إنه هذا النور الربّاني انسكب في تلك القلوب فأحيا مواتها وفتح مغاليقها فلانت بعد قساوة ، وتيقّظت بعد غفوة ، فأسلست قيادها واستجابت لهداية ربّها ، وأصبحت وعاء لفيض رحماته ، وهكذا يفعل الإيمان بالقلوب عندما تكون لها قابلية للتلقّي والتجاوب ، واستعداد للتزكية والطهر ، وتلك نعمة يهبها الله لمن يشاء : وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى . أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (11) .

أيها المؤمنون .. تلکم هي معجزة القرآن الخالدة في إيقاظ المشاعر الإنسانية النبيلة التي تضمن ذلك القدر الضروريّ من التعاطف والتراحم في العلاقات البشرية ، وبالتالي تحافظ على تلاحم البنية الاجتماعية وتماسكها حين يعيش كلّ من الفرد والمجتمع مكفول الحق موفور الكرامة في إطار أحكام الشرع العادلة وآدابه الرفيعة .

(10) سورة طه ، الآية 123 .

(11) سورة فصلت ، الآية 44 .

فاللهم وفقنا إلى اتباع أحكام كتابك ، والإهداء بهدي نبيئك
واجعلنا متحابين متراحمين .

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره وتوب إليه ، ونعوذ به
من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد : فيا أمة الإسلام .. ما
من شك إن الأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع . فعلى قدر صلاح هذه
الخلية البشرية يكون صلاح المجتمع . ولذا فإن المولى تبارك وتعالى
ركّز على عنصرَي المودة والرحمة في العلاقات الزوجية ، وجعل ذلك
من مظاهر عظّمته وقدرته فقال عزّ من قائل : ﴿ومن آياته أن خلق
لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودةً
ورحمةً إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (12) إن الإنجذاب
الغريزي بين الجنسين وشعور أحدهما نحو الآخر بأنه الشطر المكمل
لصاحبه في شركة حياة لا يمكن أن تثمر إلا بتلك الطمأنينة والسكينة
التي يجب أن تتوفر في البيت العائلي . لأنه في فورة الشهوة واهتياج
المشاعر في تلك العلاقة بين الرجل والمرأة قلما يتذكر الناس يد الله
الحانية التي أودعت للغريزة حرارتها لتتحرك وتلبّي ، وحرّكت عاطفة
الحب لتوثق الصلة وتبقى على الميل والإنجذاب . غير أن نصب الحياة

(12) سورة الروم ، الآية 21 .

ولغوبها قد يخففان ندوة العاطفة ، والألف والعادة في وتيرة العلاقة الزوجية مدعاة للفتور ، والمغريات الخارجية بمفاتها قد تسبب النفور ، فلا بد إذن من تأمين لذلك الرباط المقدس ومن سياج متين ، يجعل البيت في حرز أمين . وهل بغير الرحمة يحقق الزوجان ذلك في كنف العدل والإنصاف والتعقل والأناة ؟ قال رسول الله : «جعل الله الرحمة مائة جزء ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً . فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»⁽¹³⁾ فيجب أن ينمي الزوجان هذه الرحمة في علاقاتهما بشتى الأساليب ، لأنها نعم الضاد لجراح العشرة ، ونعم السياج لروابط الألفة ، ونعم الضمان للبيت السعيد . ويا ما أروع حكمة الإسلام عندما وصى برعاية ذوي القربى ، فاشتق لهم من الرحمة اسم الرحم ، قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾⁽¹⁴⁾ فأجدر الناس بالرحمة الوالدان ، لأنهما المثل المجسد لها . فإذا أتجه تيار حبك - أيها الإنسان - إلى قطب زوجك وأولادك ، وقد أناخ الدهر بكلكله على والديك ، فلا أقلّ من أن تعاملهما بالرحمة برّاً وإحساناً ، وتلاطفهما على قدر ضعفهما تواضعاً وإكراماً . قال تعالى : ﴿وَاخْفُضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾⁽¹⁵⁾ ثم إن أولادك وهم زينة البيت وريحانته ، قد تكون في أخلاقهم جفوة ، وفي طبيعتهم غلظة ، وهم يحملونك على ما تكره ، ويحملونك ما لا تطيق . وأنت

(13) رواه البخاري .

(14) سورة النساء ، الآية 01 .

(15) سورة الإسراء ، الآية 24 .

لا تملك أن تسلس قيادهم إلا بالصبر والحلم ، وبالرحمة والحنان . فما عليك إلا أن تسوسهم حتى يقنع الراغب ويأنس الشرود ، لأنهم بضعة منك وفلذة من كبذك والله تعالى يقول : ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنَ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ، وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (16) .

ومن المؤسف جداً أن يكون بعض الناس في منأى عن هذه التوجيهات الربانية ، إذ نجد في معاملتهم غلظة ، فلم يذق أولادهم طعم الحنان ، ولم ينعموا بدفء العطف والرحمة ، فنشأوا على كره لوالديهم يعانون من العقد النفسية ما جعلهم عالة على المجتمع . فقد روي أن رسول الله ﷺ قبل الحسن والحسين وعنده الأقرع بن حابس التميمي فقال الأقرع : «إن لي عشرة من الولد ، ما قبلت منهم أحداً قط» . فنظر إليه رسول الله وقال : من لا يرحم لا يُرحم ، وفي رواية قال : أو أملك لك إن نزع الله الرحمة من قلبك ؟» (17) .

تلكم أيها الأخوة المؤمنون محالات الرحمة كما بينها القرآن الكريم . فلينظر أحدا ما نصيبه منها في علاقته بالآخرين ، فإن رحمة الله قريب من المحسنين . ولنستدرّكلنا هذه الرحمات من الله العليّ القدير ، ولنستنزل ألطافه في هذه الظروف العصيبة التي تعيشها بلادنا . ولا يتحقق ذلك إلا إذا كنا متعاطفين متوآدين متراحمين كأعضاء الجسد الواحد كما وصف رسول الله بذلك المجتمع المسلم ، اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة والنجاة من النار . يا أرحم الراحمين ، والحمد لله ربّ العالمين .

(16) سورة التغابن ، الآية 14 .

(17) رواه البخاري .

ويل للجيل يوم يُصبح كغُثاء السيل !

الحمد لله الذي وضع لحياة خلقه سنناً لا نجد لها تبديلاً . وشرع لهم من أحكامه ما يستقيمون به على الطريقة ويهتدون به سبيلاً . فطوبى لمن دان لخالفه وتبتّل إليه تبتيلاً . نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن سيّدنا محمداً عبده ورسوله ، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ، أعظم به رسولاً . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه خير القرون وأفضلها رعيلاً.. أما بعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون إن الله في خلقه شؤوناً ، يبلوهم بالشر والخير فتنة وهم لا يتذكرون ، وتتوالى عليهم النذر ولا يكادون يرجعون . ذلك لأن النفس البشرية مفتونة بالشهوات العاجلة ، مشدودة إلى رغباتها الملحة في ضعف الوازع الإيماني ، وغلبة الهاجس الشيطاني . إن أمرنا وأمر المسلمين عجب في هذه الفترة العvisية من تاريخنا ؟ لقد أناخ الدهر بكلّ كلة على من سبقونا من الأجيال ، وألحّت عليهم المصائب بما كسبت أيديهم ، فحقّ عليهم القول وزحزحوا عن مكان الصدارة ، إذ تداعت عليهم الأمم وهم في حالة من الفشائية أفقدتهم عزّتهم وسلبتهم كل ميزة للسؤدد والفخار . يقول أحد الدعاة البنهاء في تحليل تلك الظاهرة التاريخية المؤسفة : «أنا لا أعتبر التتار هم مسقطو الخلافة في بغداد . إن الخلافة أسقطتها من قبل قصور مترعة بالإثم ، متخمة بالملذات الحرام . أنا لا أعدّ الصليبيين هم مسقطو دولتنا في الأندلس ؛ إن المترفين الناعمين هم الذين أنزلوا راية الإسلام عن تلك الربوع الخضرة . إن ملوك الطوائف من الأندلس لم يكونوا

أبناء شرعيين لطارق بن زياد ، ولا لغيره من الأبطال الذين باعوا لله أنفسهم فأورثهم الأرضين . إننا نحن قبل غيرنا العقبة الأولى أمام دين عظيم . إن التحدي الأول يجيء من داخل أرضنا ، ثم تجيء بعده تحديات الأعداء التقليديين»⁽¹⁸⁾ .

نعم ! إن التحدي الأول يجيء من داخل أرضنا ، فلا جرم أن المفكرين الواعين في هذه الأمة ، والمخلصين في استبقاء عزتها وصيانة مقوماتها ، يدركون تلك التحديات ويقدرّون أخطارها على كيانها الداخلي . ولذا فهم يفكّرون ليل نهار كيف يواجهون هذه الأوضاع بحكمة وأناة ، وكيف يزجون سفين المجتمع في بحر لجيّ تغشاه أطباق من الظلمات ؟ فلننظر إلى هذه الرقعة الصغيرة من الوطن الإسلامي ، إلى منطقتنا هذه بالذات في الجنوب الجزائري الفسيح وهي ما تزال إلى عهد قريب حصناً حصيناً للإسلام النقي الطاهر ، أسست بنيانها على مبادئه وأحكامه من أول يوم ، وعصّت عليه بالنواجذ يوم أن عصفت به رياح الفتن ، وأخذ من أطراف رقعته توالي النكبات والمحن . ومع العزلة والتشرد والمطاردة ، لم يركن أسلافنا - رحمهم الله - إلى حياة الدعة والترف والبذخ ، ولم يساوموا أحداً في دينهم وعزّتهم وشرفهم . بل استفزّهم في تلك الظروف القاسية نداء الله للمستضعفين في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُم الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا : فِيمَ كُنْتُمْ ؟ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ . قَالُوا : أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا ؟﴾⁽¹⁹⁾ وهكذا أدركتهم عناية الله إذ وجدوا في هذه الرقعة النائية ملجأً ومستقراً ، ولم

(18) هو الإمام الشيخ محمد الغزالي من كتابه : دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ص 15 .

(19) سورة النساء ، الآية 97 .

يعوزهم على قلة العدد وافتقار النصير ، ذلك الإيمان الراسخ بما هم عليه من الحق ، وتلك العزيمة الصادقة في المحافظة على كياناتهم ومقومات شخصيتهم وهم يُسكنون من ذريتهم بواد غير ذي زرع⁽²⁰⁾ حتى تركوا لنا هذا التراث الخالد الذي ينمّ عن حضارة عميقة الجذور ، وأصالة محكمة البناء راسخة العماد لا ترى فيها من فطور . هذا التراث الذي أخذنا نضيّعه سفاهة وحمقاً ، بينما نجد غيرنا من مواطنينا في الجزائر وغيرهم من خارج الجزائر ، نجدهم مأخوذين بخصائصه شغوفين بمعرفة أصوله ومبادئه وتقاليده وأعرافه ، وهو يرى فيه خير نموذج للمجتمعات المتينة الرصينة ، ويودّ مخلصاً لو يطبق أن يتبنّاه منهج حياة للحلّ الإسلامي المنشود .

أيها الأخوة المؤمنون .. ليس لصدود مجتمعنا أمام التحديات شيء من خوارق العادات ، أو تبديل لسنة الله في خلقه ، بل هو الأخذ المحكم بتلك السنن ، والتنفيذ الذكيّ للعرمان الصالح في الأرض كما أَراده ربّ العباد ، بأن لا يجعل الإنسان ولاءه الأعلى إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأن يتعامل مع نفسه وذويه ومع الناس أجمعين وفق ما شرعه الله من أحكام الحلال والحرام ، ومن أخلاقيات فردية واجتماعية تجسّد ما تنزلت به الآيات وما بينته السنة المطهّرة ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

(20) المقصود به : «وادي ميزاب» وذلك في وضعيته القديمة عندما استقرّ به الأباضية في أوائل القرن السادس الهجري العاشر الميلادي . فحفروا ما يزيد عن خمسة آلاف بئر تقليدية قبل استكشاف في المياه الجوفية في أوائل هذا القرن .

خوفهم أمانا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً⁽²¹⁾ .

ولنا أن نتساءل : هل نحن اليوم موفون بشروط هذا الوعد الإلهي الصادق ؟ أم أصبحنا بسوء فعالنا في حظيرة من قال الله فيهم : ﴿ فخلف من بعدهم خلفاً أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غياً ﴾⁽²²⁾ فإذا كانت الصراحة خير دواء نعالج به مشاكلنا ، والإنصاف خير وسيلة نشخص بها أمراضنا ، فإنني لست يوماً - بفضل الله - من المتملقين المرائين ، ولا من المنافقين المخادعين . ولطالما أنذرتكم من مقامي هذا شراً مستطيراً يجوس خلال الديار ، ويقع في زوايا أوكارنا ولا يتسلل من خلف الأسوار ؛ كما قال الداعية المخلص : « بأن التحدي الأول يجيء من داخل أرضنا » . ولا أدل على ذلك مما نعانيه اليوم في أولادنا من طيش يهدد أمن المجتمع في شرفه وعرضه ، وفي أرزاقه وأمواله . وليت لنا من الزواجر المادية والمعنوية ما نستطيع به أن نكبح جماح السفهاء ونردّ به كيد الغاوين . فتلك أمانة أضعناها في هوس الحساسيات ، وأفقدناها فعاليتها في حمى العصبية⁽²³⁾ وأنا لا أصف لكم واقعاً أنا عنه بمعزل ، ولا أبالغ في تشخيص مرض أنتم عنه بنجوة ، بل الرأي والصواب أن يكون المسلم مرآة أخيه . فربّ أمر ذي بال لا نأبه له : إما بانشغالنا في زحمة الأعمال ، وإما بضياننا في متاهات القيل والقال . وقليل هم أولئك الذين يحملون بين جنوبهم تلك القلوب المرهفة الحساسة ،

(21) سورة النور ، الآية 55 .

(22) سورة مريم ، الآية 59 .

(23) يشير الخطيب إلى رادع البراءة الشخصية ضد كل من يجاهر بالمعاصي إذ يتبرأ منه العزابة في المسجد فيبقى معزولاً على المجتمع حتى يعلن عن ثوبته أمام الملأ . ولكن اليوم أخذت فعاليتها تضعف .

والنفوس الكبيرة التي لا تعيش لذاتها ، ولا تنحصر في رغباتها وشهواتها بقدر ما هي سارحة في الآفاق ، مشدودة إلى الغايات الكبرى ، مهمومة بالقيم العظمى وقديماً قال المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
فيا ذوي الشهامة والمروءة ، ويا أرباب العزة والكرامة . يا من يعزّ عليكم أن تروا ملاذ أجدادكم تستباح كرامته ، ومأرز دينكم تناوشه الأفاعي والحيات ، بالسموم الناقعات . فهل من نجدة لرتق الفتق وتعزيز الحصانة والمناعة ؟ وهل من ترياق يمنع مفعول السموم ؟ ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

الخطبة الثانية

الحمد لله القائل وقوله الحق : ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾⁽²⁴⁾ نحمده حق حمده ، ونصلّي ونسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فيا أمة الإسلام : أوصيكم ونفسي بتقى الله فإنها خير زاد ، يعصنا من سخط الله عندما يستشرى الفساد . وأصبح الناس لا يجدي فيهم النصح والإرشاد .. فما أروع تصوير رسول الله للمجتمع براكبي السفينة في جزئها الأسفل والأعلى ، وكيف راجت على الذين هم في أسفلها ، فكرة إحداث خرق بدعوى حرية الانتفاع ورفع الحرج على

(24) سورة هود ، الآية 117 .

من هم في أعلاها عند سقي الماء . ثم يقول الرسول : «فإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً ، وإن تركوهم وشأنهم هلكوا»⁽²⁵⁾ . وهل واقعنا اليوم - أيها السادة - يخرج عن هذه الصورة التي حذر منها رسول الله ؟ كلا ! فليس ما نعانیه من مشاكل داخلية إلاّ لبروز فكرة الأعلين والأسفلين في سفينة المجتمع ، وشيوع فكرة الحرية في التصرف دونما مراعاة للضوابط الشرعية والاجتماعية . فإذا كان سوء التربية وفقدان روح المسؤولية والحسّ الاجتماعي قد أذى بأولئك في مكانهم من السفينة أن يخرقوا خرقاً يعرض الجميع إلى الهلاك ، فهل من اللائق بمن هم في الأعلى أن يقفوا مكتفي الأيدي ، فلا ينهونهم عما هم فيه من الحمق والاستهتار ؟ بل الأدهى من ذلك أن يجد هؤلاء المستهترون من يصفق لهم ويشاركهم في القرار ، فلينظر العقلاء أي مصير ينتظرنا إن بقينا نسير في هذا المشوار . والله الأمر من قبل ومن بعد ، وعلى قدر إيماننا يكون الابتلاء والاختبار . فما جدوى هذه الجيوش الجرارة من بنينا وبناتنا إن هي أصبحت كغثاء السيل ؟ لا تعمر نادياً ولا تقطع وادياً . فكيف بك إذا ركبت الصعب في بطون الأرض أو قمم الجبال ؟ فاللهم إنا نسألك اللطف في القضاء ، والصبر عند البلاء ، ونعوذ بك من درك الشقاء وشماتة الأعداء ، إنك سميع دعاء ، وللطيف لما تشاء .

والحمد لله ربّ العالمين

(25) تقدمت الإشارة إليه .

سبحان الذي أسرى بعبده

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير﴾⁽²⁶⁾ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، رفعه الله مكاناً علياً وحباه فضلاً كبيراً . صلى الله وعلى آله وصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد : فيا أيها الأخوة المؤمنون لقد اعتاد المسلمون الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج لرسول الله في أواخر شهر رجب الحرام . يتفننون في عرض القصة على المنابر ، يروونها مختصرة أو مفصلة حسبما ذكرتها كتب الحديث ، وقد تنسّ فيها بعض الإسرائيليات ولا ينتبه لها بعض الوعاظ والمرشدين وكم لرسول الله من ذكريات خالدة ، حفلت بها حياته الكريمة مولوداً مباركاً ، وزضيعاً ميموناً ، وغلاماً زكياً ، وشاباً صالحاً متبتلاً ، ثم رسولاً كريماً وقائداً زعيماً . وكل هاتيك الذكريات يجب أن تملأ جوانح المؤمنين بإحباطها حباً وتعظيماً لرسول الله ، وتستقر في الأعماق لتلتهم إشراقاتها الربانية في حياة المؤمن عقيدة وعبادة وقدوة واهتداء ، دون أن يختص بها زمان أو مكان ؛ كما كان ذلك شأن المؤمنين الأولين ، يوم كان الإيمان عملاً ووفاء بالعهود تبذل فيه الأنفس والأموال . يقول تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله

(26) سورة الإسراء ، الآية 01 .

ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون ﴿٢٧﴾ وحادثة الإسراء والمعراج من أقدس الذكريات التي كانت مثار جدل بين الناس ، وهم يمعنون في إضفاء طابع الغرابة عليها ، عندما يقيسون أحوال عالمهم المشاهد بعالم الغيب ، ويخلطون بين بشرية الرسول المتأثرة بواقع الأرض ، وروحانيته المتصلة بالملا الأعلى . وحقيقة هذه الحادثة كما روتها كتب السنة تتلخص في مايلي : إن رسول الله ﷺ قد أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى السماوات واحدة فواحدة ، حيث انتهى إلى السدرة والبيت المعمور . وتلقى عن ربه افتراض خمسين صلاة على أمته . وإرشاد من سيدنا موسى ﷺ كان يطلب التخفيف حتى بقيت خمساً في العمل وخمسين في الثواب . ثم رجع من ليلته وعاد إلى حيث أتى ، بعدما رأى من آيات ربه الكبرى .

وفي القرآن يرد ذكر الحادثتين من غير تفصيل في سورتي الإسراء والنجم ، وليس لنا من وراء ذلك نصّ قاطع يحدّد الكيفية أو عدد المرات ، وحتى الزمان لم تتفق على تحديده الروايات ، وبالتالي اختلفت الآراء أكان الإسراء والمعراج بالروح والجسم معاً ؟ أو كانا بالروح فقط ؟ وأيّا كانت الأحداث التي جرت في تلك الليلة المباركة ، فإن قدرة الله تعالى لا يحدها زمان ولا مكان ، ولا تقاس بمألوف الناس في مجال مدركاتهم الضيقة كما أن عنايته برسله ، وهم يواجهون تحديات الكفر والضلال ، تأخذ مختلف الأنواع والأشكال ، بما يتلاءم مع مستويات العصور والأجيال . فليس المهم أن نستعرض الجزئيات والتفاصيل ، ولا أن نفرق في ضروب من التفسير والتأويل ، تمشياً مع منطق العقل وضيق أفقه في هذا العالم المشاهد ، لأن إيماننا

بقدرته الله وعظمة ملكوته ، يجعلنا أمام تلك الأسرار الغيبية ، لا نملك إلا أن نخضع ونستسلم في ما ثبت لدينا من النصوص القطعية . والله تعالى يشهد لرسوله بذلك السمّ الروحاني الذي يخترق السبع الطباق إلى سدرة المنتهى ويشاهد جبريل على الصورة التي خلقه الله عليها في روعة وجلال . فيقول ربّ العزة : ﴿أفتمارونه على ما يرى ؟ ولقد رءاه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ (28) وللسيد قطب - رحمه الله - كلام جميل في هذا المعنى نوره بنصّه إذ يقول : «على أننا لا نرى محلاً لذلك الجدل الطويل الذي ثار قديماً والذي يثور حديثاً حول طبيعة هذه الواقعة المؤكدة في حياة الرسول ﷺ والمسافة بين الإسرائ والمعراج بالروح أو بالجسم ، وبين أن تكون رؤيا في المنام أو رؤية في اليقظة ، المسافة بين هذه الحالات كلها ليست بعيدة ، ولا تغير من طبيعة هذه الواقعة شيئاً ، وكونها كشفاً وتجلية للرسول ﷺ عن أمكنة بعيدة وعوالم بعيدة في لحظة خاطفة قصيرة . والذين يدركون القدرة الإلهية ومن طبيعة النبوة لا يستغربون في الواقعة شيئاً . فأمام القدرة الإلهية تتساوى جميع الأعمال التي تبدو في نظر الإنسان وبالقياس إلى قدرته وإلى تصوّره متفاوتة السهولة والصعوبة ، حسب ما اعتاده وما رءاه . والمعتاد المرئي في عالم البشر ليس هو الحكم في تقدير الأمر بالقياس إلى قدرة الله . أما طبيعة النبوة فهي اتصال بالملك الأعلى والتلقي عنه . وقد صدق أبو بكر (ض) وهو يرّد المسألة المستغربة المستهولة عند القوم إلى بساطتها وطبيعتها فيقول : إني لأصدقه بأبعد

(28) سورة النجم ، الآيات من 12 إلى 18 .

من ذلك ، أصدقه بخبر السماء»⁽²⁹⁾ أيها الأخوة المؤمنون .. لقد شاء ربّ العزة أن تتدرّج البشرية في مراقبي العلم والمعرفة ، فيسرّ لها من وسائل البحث والتنقيب ما مكّنها من معرفة بعض السنن والقوانين التي تضبط نظام الكون حتى استطاع الإنسان أن ينفذ من أقطار هذه الأرض إلى أجواز الفضاء الكوني الواسع ليكتشف الأجرام السماوية وقيس أبعادها ويطلع على طبيعة تكوينها ، ثم يعود إلى مهاده الأرضي سالماً معافى وقد حماه العلم مما يكتنفه من الأخطار في تلك الرحالات العجيبة . حتى تأله الملحدون الماديّون بهذا الفتح العلميّ الكبير ، حين أنكروا وسخروا من عقائد الدين . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحقّ بهم ما كانوا به يستهزئون﴾⁽³⁰⁾ فهل يليق بنا - نحن المؤمنون - أن نستكثر على رسولنا هذه الكرامة ؟ أو أن نحتم من ذكرها تملّقاً لأدعياء التمدّن والرقّي ؟ أولئك الذين يعتقدون أن الإهتمام بمخلفات الديانات والنبوءات ضرب من التخلف والرجعية . كلا - وربّي - لا تزيدنا هذه الكشوفات العلمية إلاّ إيماناً وتسليماً بأن ربّنا تبارك وتعالى ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وقد وعد أن يعطي رسوله حتى يرضى . فهو الذي أبدع عقل الإنسان البشر وأقدره ليكشف بعض الأسرار في ملكوته ، وهو الذي كشف للإنسان الرسول ما يدلّ على عزته وجبروته . فسبحان الله العليّ الكبير ، إنه على ما يشاء قدير . فليكن كل واحد منا كالصديق في قوة الإيمان واليقين ، ولنعتزّ بعظمة رسولنا في العالمين . وعلوّ منزلته في الأنبياء والمرسلين . ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم .

(29) ظلال القرآن ، ج 15 ، ص 302 .

(30) سورة غافر ، الآية 83 .

الخطبة الثانية

الحمد لله مدبّر الأمور ومصرف الأقدار ، وضع لخلقه سنناً لا تتخلف ولا تحيد . سبحانه هو الله الواحد القهار الفعّال لم يريد . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ذو القدر المجيد . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين منهم إلى يوم الدين . وبعد : فيا أمة الإسلام .. إن طريق الدعوة إلى الله شاقّ طويل ، ونصرة الحق لا تتأتّى للضعاف المهazيل . ولنا في رسول الله إسوة حسنة في الصبر والمصابرة والمرابطة لردّ العدوان ودحض الأباطيل . ولقد ذاق الرسول من ألوان المكر والظلم ما تشيب بهوله الولدان ، وعزّ نصيره إلا من مولاة ذي العزة والجلال . وشاءت قدرة الله أن تستحكم الأزمة في عام الحزن بفقد زوجه خديجة وموت عمّه أبي طالب ثم هو لا يجد في جوار ثقيف إلا السخرية والهوان فيجأ إلى الله بدعائه المأثور : «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين . أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي»⁽³¹⁾ ومن غير الله لرسله وأوليائه في مثل تلك الضوائق والأزمات ؟ يقول تعالى ممتناً على رسوله : ﴿ولو لا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلّوك ، وما يضلّون إلا أنفسهم ، وما يضروناك من شيء ، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً﴾⁽³²⁾ فيها هي يد الله الحانية وقوّته اللامتناهية تنقذ رسوله وتضيء طريقه إلى المستقبل المأمول ، فيشاهد من آيات ربّه الكبرى في أرجاء ملكوته ما

(31) أنظر السيرة النبوية لابن هشام ، ج 02 ، ص 61 .

(32) سورة النساء .

يزداد به إيماناً و يقيناً بأن الله تعالى لا يسلمه ، وأنه مؤيده وناصره
مهما تألب عليه الأعداء ، ومهما تحمّل في سبيل دعوته من أعباء . ثم
إن حادثة الإسراء والمعراج كانت المحكّ الدقيق لتحخيص صفوف
الجماعة المسلمة ، حتى لا يبقى في خطّ المواجهة إلاّ الأوفياء
المخلصون ، وهم مقبلون على تأسيس دولة الإسلام في المدينة
المنورة ، وليس يقوى على التأسيس إلاّ الأبطال الصناديد . فلنؤمن
بفضل الله على رسوله في هذه الحادثة المقدسة ، ولنجزم بقدرة الله
وحكمته في ما أَراده وهو القائل : ﴿وما جعلنا الرؤيا التي
أريناك إلاّ فتنة للناس﴾⁽³³⁾ فإذا كان لنا من عبرة نأخذها من
حادثة الإسراء والمعراج علوّاً على أنها تثبيت وتكريم لرسول الله ، فإنها
تذكّرنا بمهبط الوحي في المسجدين الشريفين ، وتذكّرنا بمسؤوليتنا
التاريخية نحوهما ، بأن نظهرهما من أرجاس الكفر ، ونصون حرمتيهما
برفع راية الإسلام فوقهما خفاقة حتى يبقى كما أرادهما الله مثابة
للناس وأماناً .

اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين ، مؤمنين بما أنزلته في كتابك
ومصدقين . ربّنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجّنا برحمتك من
القوم الكافرين .

والحمد لله ربّ العالمين .

(33) سورة الإسراء .

الخاتمة

لقد تمّ - بفضل الله - تنسيق المجموعة الأولى من الخطب المنبرية التي تضمّ ستّاً وعشرين خطبة ، وهو ما يغطّي نصف السنة . وستليها - بحول الله - المجموعة الثانية ، مكملّة لاثنتين وخمسين أسبوعاً لتغطية سنة كاملة . تتطرق فيها إلى مواضيع أخرى مم يشغل بال المسلمين بصفة عامة ، أو يهمّ وطننا بصفة خاصة . وأرجو أنني بهذا العمل المتواضع أنني أضفت لبنة في صرح الدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . تلك الدعامة الأساسية في بناء المجتمع المسلم الأصيل ، وهي ما تزال عندنا تفتقد صدق الأمانة ، والتزام الأدب الشرعي في التبليغ ، والنزاهة والإخلاص في حسن القدوة .

ورجائي من الله العليّ القدير أن يجد القارئ المسلم في هذه الصفحات المتواضعة صدق التعبير ، وحرارة الإخلاص في إساءة النصيح ، وهو يرتع في رياض كتاب الله وسنة رسوله ، مهتدياً بالهوامش إلى مواقع الآيات من سور القرآن الكريم ، وإلى مصادر الأحاديث النبويّة من كتب الصحاح والمسانيد . فعمساني أن أكون - بتوفيق الله - من المفلحين الصادقين ، ممن ذكرهم الله تعالى في قوله : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران ، الآية 104 ، وفي الختام أرجو القبول من الله تعالى وحسن المآب ، ومن أخي المسلم صالح الدعاء ومودة الأحباب ، والحمد لله ربّ العالمين .

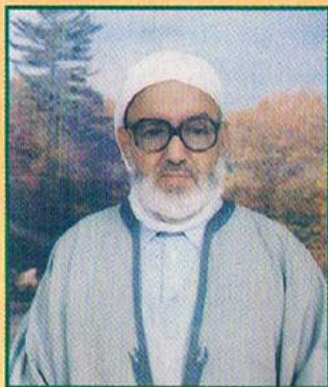
العطف يوم الجمعة 23 ربيع الأول الموافق لـ 10 سبتمبر 1414/1993 .

المؤلف : سعيد محمد إبراهيم كعباش

الفهرس

الإهداء	3
المقدمة	5
إن الدين عند الله الإسلام	8
الصلاة عماد الدين	15
أقم الصلاة لذكري	21
دور المسجد في الإسلام	27
بيوتي في الأرض المساجد	33
إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي	37
هكذا يكون الشباب المحمّدي	44
كيف تكون محبة رسول الله ؟	51
لا حلّ لقضية فلسطين إلا بالرجوع إلى الحق المبين	59
واقع مجتمعا أمام التحديات	63
خزائن الخير وخزائن الشرّ	69
وباء السيدا نذير من الله	73
الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل	83
آداب الطريق والمرافق العامة	89
الحجّ أشهر معلومات	94
ما بين الهجرة وحجة الوداع عبرة وذكرى للأتباع	98
حلبة السباق إلى الخيرات	104

111	إرهاصات العام الجديد لسنة 1991
117	مولد الهدى والنور
123	من إحياءات غزوة أحد في سورة آل عمران
130	الليالي من الزمان حبالى
136	نحن وأولادنا
144	تحديد النسل بين الإفراط والتفريط
150	الرحمة في أوسع مجالاتها
158	ويل للجيل يوم يصبح كغناء السيل
164	سبحان الذي أسرى بعبده
170	الخاتمة



الشيخ سعيد محمد البراك لعبد الله

إن أمتنا المسلمة هي إبنة المنبر منذ كانت . صاغها يوم كان يرتقبه محمد ﷺ . لقد كان منبراً وحيداً ومع ذلك استطاع أن يربي جيلاً من البشر حملوا الرسالة إلى الآفاق ، وأقاموا الدين والدولة معاً .

فكان أثر المنبر الواحد أعظم من تأثير مئات الألوف من المنابر ومئات الجامعات وآلاف المدارس والمعاهد . فهذه المنابر كلها ليست من ذلك المنبر بسبب . لو أننا سبرنا غور هذه المأساة ، فسنجد أنه راجع إلى تعدد نوعيات المنابر الحديثة وتفرق دعائها . لقد كان المنبر على عهد الرسول واحداً ، يصعد بأمر واحد ويخاطب أمة واحدة كما أراد الله .